


AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
UNIVERSITY
LIBRARY



الامثال والاساطير اللبنانية

المختصة باشهر السنة الشمسية

مجموعة ما يتناقله اللبنانيون في احاديثهم ومسامراتهم من الامثال والاساطير المتعلقة بكل شهر من اشهر السنة الشمسية ، وهي جزء من كتاب كبير موضوعه « العادات والتقاليد اللبنانية » صورت فيه الحياة الشعبية الصميمة في لبنان ، في الربعين الاخير والاول من القرنين الماضي والحاضر

بقلم

لحد صعب خاطر



(ظهرت تباعاً في مجلة المشرق)



المطبعة الكاثوليكية . بيروت

١٩٣٣

تمهيد

الفائدة من تدوين هذه الاساطير والامثال

يتناقل اللبنانيون في احاديثهم عن اشهر السنـة الشمسية وما يتعلق بها عبارات واساطير عامية تجري على السنتهم مجرى الامثال والشواهد ، توارثوها خلفاً عن سلف من اجيال متفاوتة ، وهي موضوعة في الاصل لحكمة او موعظة بعد طول تجربة وخبرة ، فكانت ثمرة الكد والملاحظة وزبـدة الذكاء والفطنة وسعة الاطلاع في مختلف الشؤون العمرانية ، ولاسيما الزراعة والصناعة وتربية الماشية واحوال الفلك وقواعد علم الصحة ونحو ذلك مما له علاقة بالحياة الشعبية اليومية في لبنان . لذلك رأيناها تقوى على غير الايام وتجتاز الاجيال مصونـة على صفائح الصدور حتى وصلت الينا .

على انها الان اصبحت تواجـه خطراً يتهددها بالضياع والنسيان الا وهو خطر ما نشاهده يوماً بعد آخر من التطور الفكري الآخذ بالانتشار والحافز بابناء هذه البلاد الى ترك كل قديم من متروكات الآباء والاجداد ، حتى مـا كان منها حسناً مفيـداً . فلاجل دفع هذا الخطر اقبلتُ على تدوين هـذه

الامثال والتعابير، وتعليق شروح عليها تقرب متناولها وتوضح رموزها ومدلولاتها ، وتزيل ما علق ببعضها من شوائب التحريف والتشويه تسهيلاً للانتفاع بها والاستعانة بطالعتها على استجلاء عدة نقاط اخلاقية من تاريخنا الوطني لا تزال غامضة بسبب قعود مؤرخينا القدماء عن بحثها وقصر ما كتبوه في مؤلفاتهم على اخبار الحكام وشؤون السياسة ، ممهداً للكلام عن كل شهر بكلمة عن معناه واصل وضعه ، مقدماً على الفصول لمحة تاريخية عن نشأة التقاويم وتطوراتها في سياق الاجيال . وهو بحث يرمي الى ابراز صورة حية للحياة الشعبية اللبنانية الصميمة التي كان عليها الآباء والجدود ، واستبقاء تلك المسحة الخاصة المؤيدة لاستقلالنا الخلقي المعدود في رأس الادلة على ما كان لنا من كيان منفرد واستقلال اداري ممتاز في تاريخنا السياسي .

نشأة التقاويم وتطوراتها

بعد ان نشأ الانسان في صدر الخليقة رأى نفسه محتاجاً الى وسيلة يقيس بها الوقت فاستنبط لذلك السنين والاشهر . ويقدّر المفكرون ان اجتهاده في هذا السبيل قاده باديء بدء الى الاعتماد على المظاهر الفلكية ، ولاسيما ما كان منها اكثر بروزاً كالقمر فانه رآه يسير على خطة واحدة في مختلف وتراهيه وتتابع دوراته ، فاتخذ كلاً من تلك الدورات عقداً تاريخياً قائماً بنفسه سماه شهراً يؤيد ذلك معنى الكلمة « شهر » نفسه بالعبرانية، احدى لغات الاقدمين ، « القمر الجديد » . وقد جاء في التوراة بهذا المعنى : « القمر نبأ الازمنة وعلامة الدهر . هو علامة العيد وباسمه سمي الشهر . » هذا الى ما تجده عند بعض الشعوب من التعبير عن الشهر والقمر بلفظ واحد .

ثم لوحظ ان هناك دورات زمنية اخرى اطول من الاولى تشتمل على الفصول الاربعة وتجري تباعاً على وتيرة واحدة من غير تغيير ، فاتخذ كلٌ منها عقداً تاريخياً آخر سمي « سنة » .ووجد ان القمر يدور في اثناء هذا العقد اثنتي عشرة دورة على التقريب فتقررت قسمته اثني عشر جزءاً قوام كل جزء قمرٌ واحد من مولده الى خفيته . وهذا بالارجح الاصل الاقرب في نشأة السنين

والاشهر في طورهما الاول ، ومنه يستدل على ان التقويم القمري كان اقدم في الاستنباط والاستعمال من التقويم الشمسي .

ولم يكن للاشهر والايام في الابتداء اسماء خاصة بل كانت تسمى بالاعداد الترتيبيَّة . فكانوا يقولون مثلاً : الشهر الاول والثاني والثالث الى آخر السنة ، واليوم الاول والثاني والثالث الى آخر الشهر ، يؤيد ذلك نصوص الكتاب في اسفار موسى ، واسماء بعض الاشهر الرومانية التي وضعها رومولوس ، باني رومية واول ملك عليها ، وهي : « سبتمبر واكتوبر ونوفمبر ودسمبر » فان معناها السابع والثامن والتاسع والعاشر .

وبعد مرور زمان لا يُعلم مقداره بالتدقيق اخذوا يطلقون على الاشهر اسماء خاصة تدل على بعض اوصافها وما يقع فيها من المميزات الطبيعية والمظاهر الجوية او ما يظهر فيها من الموارد الزراعية ، ثم سموا بعضها باسماء بعض آلهتهم وملوكهم تيمناً وتكريماً ، وقد اختلفت هذه الاسماء باختلاف الشعوب والزمان والحوادث .

اما الاسماء التي يستعملها النصارى اللبنانيون ، بل سائر النصارى الناطقين باللغات السامية ، ولاسيما العربية ، في جهات العالم فمأخوذة عن اصل بابلي ، اما رواية عن الفينيقيين الذين يظن انهم اقتبسوها في رحلاتهم التجارية الى بابل ، وإما اخذاً عن غزاة البابليين انفسهم الذين كثيراً ما شنوا الغارة على هذه البلاد ومدوا سلطانهم عليها ، وإما نقلاً عن العبرانيين الذين عادوا بتلك الاسماء من بابل بعد ان سبوا اليها . ومهما يكن من امر انتقالها فانه لمن الغرابة بمكان ان تثبت تلك الاسماء البابلية على حالها من اقدم عصور التاريخ حتى اليوم بالرغم ما تبدل عليها في سياق الايام من التطورات والتقلبات السياسية والاجتماعية .

وقسم العبرانيون الشهر اربعة اقسام سموها اسابيع لان كلاً منها تألف من ٧ ايام ، وكان عدد ٧ من الاعداد المقدسة عندهم . ولا تزال ايام الاسبوع بالعربية ذات اسماء تشعر باصلها العددي الترتيبي فان الاحد والاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس ما هي الا الفاظ عدل بها عن اليوم الواحد او الاول والثاني والثالث والرابع والخامس . وليست هذه الاسماء كذلك في بعض اللغات الاوربية

لان الناطقين بهذه اللغات اخذوها عن اسماء الاسبوع عند قدماء المصريين الذين كانوا يخصون اليوم الاول بالشمس ، والثاني بالقمر ، والثالث بالمريخ ، والرابع بعطارد ، والخامس بالمشتري ، والسادس بالزهرة ، كما يظهر ذلك لمن تدبر معاني تلك الاسماء بالافرنسية مثلاً فان معنى « Lundi » ، يوم القمر ، و«Mardi» يوم المريخ الخ . . .

اما اليوم الاول فقد سمي بعد ظهور النصرانية عندهم بما معناه « يوم الرب» اكراماً لقيامة المخلص فيه . والسبت مأخوذ عن العبرانية ومعناه «يوم الراحة »

ولم يكن التقويم القمري في بداءته بالتقويم السديد ، لانه جعل السنة مؤلفة على التقريب من ٣٥٤ يوماً ، وعلى ذلك اخذت الاشهر التي خُصّت بالصيف تتراجع كل سنة بعض ايام الى الوراء . الى ان حلَّ محلها الربيع فسائر الفصول على التوالي . مما اضطرّ العلماء الى تدارك هذا الخطاء بجعل السنة شمسية اي تابعة للمدة التي تقضيها الشمس منذ تحولها عن نقطة الاعتدال الربيعي الى ان تعود اليها .

وهذا الحساب الشمسي الجديد جعل السنة ٣٦٥ يوماً ، وهي في الصحيح اطول من ذلك بعض ساعات . فلما ملك الامبراطور يوليس قيصر من الرومانيين استقدم اليه في السنة ٤٦ قبل المسيح العالم الفلكي سوسيجنيس من مدينة الاسكندرية ، وعهد اليه في اصلاح الخلل المذكور . ففعل بان جعل السنة مؤلفة من ٣٦٥ يوماً وست ساعات . والف من هذه الساعات الست المزيدة يوماً كاملاً ارتأى اضافته في كل سنة رابعة على آخر شباط . وسمي الحساب المصلح على هذا النحو « باليولي » نسبةً الى اسم الامبراطور ، ويُعرف عندنا بالشرقي . ولا يزال فريق من طوائفنا المسيحية يجري عليه حتى اليوم .

بيد ان هذا الاصلاح لم يؤدِ الى كمال التقويم . لان واضعه اراد تلافي ما ظهر من نقصان في الحساب السابق ، فوقع في الزيادة . وتفصيل ذلك ان السنة الشمسية تتألف على الاصح من ٣٦٥ يوماً و ٥ ساعات و ٤٨ دقيقة و ٥٠ ثانية . فكان مقدار ما زاده الحساب اليولي كل سنة ١١ دقيقة و ١٠ ثوانٍ . وقد ادت هذه الزيادة كل ١٢٩ سنة الى تأليف يوم كامل . وبقيت هذه الايام المزيدة

يضاف بعضها الى بعض فاصبحت عشرة بعد بضعة عشر قرناً .

وعندئذٍ اتفق ان السعيد الذكر البابا غريغوريوس الثالث عشر كشف هذا الخطأ . واصدر في السنة ١٥٨٢ منشوراً يقضي باصلاحه وذلك بان حذف الايام العشرة المزيدة . وامر بان يبقى الحساب اليولي على حاله ، على ان يحذف منه كل ١٢٩ سنة ذلك اليوم الذي كان يزيد سابقاً . وحسابه هذا يعد الاكمل حتى الآن وعليه يجري في هذا العصر السواد الاعظم في المعمور من جميع الجنسيات والمذاهب .

اما مدة السنة فلم تكن اثني عشر شهراً عند عامة الشعوب . بل تقلّبت عليها الاحوال فكانت عند فريق اربعة اشهر ، وعند غيرهم ستة ، وجعلها روملوس عشرة تبتدئ من مارس (شهر المريخ) وتنتهي في دسمبر (الشهر العاشر) . ثم زاد عليها نوماس پمپيليوس وقيل توكينيوس شهري جانوريوس وفابروارس المقابلين لشهري كانون الثاني وشباط من شهورنا .

ووقع مثل ذلك التقلّب لمطلع السنة فكان عند الاقدمين زمن الاعتدال الربيعي الذي يقع عادة في ٢٥ ايلول ، واختاروه لذلك لانهم رأوا الحصاد وقطف الثمار وجمعها تنتهي فيه ويبدأ بعده بالقاء البذار للسنة الجديدة ، وجعله آخرون زمن الاعتدال الربيعي الذي يقع عادةً في آذار ، وذلك لانهم رأوا الطبيعة تتجدد فيه مستأنفة الحياة . وجعله غيرهم قلب الصيف زمن الغلال وحصد الزروع . وجعله المسيحيون حيناً في عيد الميلاد ، وحيناً آخر في عيد الفصح ، باعتبار تجدد العالم بميلاد المخلص وقيامته . وكان احد اباطرة الرومان جعل مطلع العام في السنة ١٥٣ قبل المسيح اول شهر جانوريوس المقابل لكانون الثاني . فلم تلبث الممالك ان تبعت هذا الحساب رويداً رويداً الى ان عمّ استعماله في اوربة في اواسط القرن الثامن عشر . ومنها انتشر في العالم حتى كاد يعمه باسره في هذا العصر .

الكانونان الاول والثاني

قلما تميز الامثال والتقاليد العامية بين هذين الشهرين الحاملين اسماً واحداً ، فآثرنا الكلام عنهما في فصل واحد.

كانون لفظة بابلية معناها «فصل الشتاء». والكانون في السريانية «مستوقد النار». ويأتي فيها بمعنى الحبوب من عدس وحمص وفول وما شاكل. والكانون في العربيـة الرجل الثقيل. ولعلهم اطلقوه على هذين الشهرين لما شاهدوه فيهما من ثقل البرد وصعوبة الحركة.

اما الاول منهما فيبدأ فصل الشتاء في ٢١ منه ، ويقال ان الشمس تدخل حينذاك في برج الجدي. وله القاب منها «الشائب» ، وشهر الجليـد والصقيع ، وشهر الدخان ، والشهر المقـدس» واسمه الافرنجي «دسمبر» من «ديسم» اللاتينية بمعنى العاشر.

وفي كانون الثـاني تنتقل الشمس الى برج الدلو. ويصوّره الافرنج بهيئة شيخ مسنّ يسير متثاقلاً ، وقد حمل على ظهره زنبيلاً شحنه بالالعاب ليقدمهـا هدايا لصغار الاولاد بمناسبة عيد رأس السنة الواقع في اوله. يقابله في الافرنسية «جانڤيه» من «جانوريوس» الـلاتينية المأخوذة من «جانوس» وهو اسم اله روماني ذي وجهين ، يرمزون بهما الى انه يودّع السنة الماضية باحدهما ويستقبل الآتية بالآخر. ويصوّرون هذا الاله بهيئة رجل واقف ، وفي احدى يديه عصا ، ووجهاه ينظران الى جهتين مختلفتين. وفي ذلك مغزى لطيف يشير الى مـا يجب ان يفعله المرء في اول العام من التطلع الى الماضي والمستقبل متخذاً العظات منهما لاصلاح شؤونه.

***

اما كانون في لبنان فتكون اوراق الاشجار قد تناثرت فيه بتأثير البرد ، واصبحت الارض جرداء خالية من الخضرة ، ذات منظر كئيب ، فتقول العامة في ذلك : «كانون الاجرد خلّا الشجر امرد». ولكن هناك اشجاراً تحتفظ بورقها

ولا يؤثر فيها برد كانون اخصها السنديان والصنوبر والزيتون فيقولون فيها : « كل الاشجار تتعرّى في كانون ما عدا العفص والصنوبر والزيتون . »

ويشتدّ البرد في كانون ، وتتساقط الثلوج ، فيمتنع النـاس من الزيارات والاسفار والسعي في سبيل الرزق وامتيار المآكل. ولهم في ذلك اقوال يتناقلونها تنبّه الناس الى ضرورة ادّخار المؤن والملابس والوقود لمثل هذا الفصل البارد ، والى وجوب الاقامة فيه داخل البيوت الى جانب النيران وعدم التعرّض لاخطار الدنق والامراض بركوب متن الاسفار ، من ذلك قولهم :

« بين المواليـد والقلندس (عيد الميلاد وعيد راس السنة) عند جارك لا تقرفص ، وان قرفصت لا تباتْ ، يصبح عليك الثلج قامات »

وقولهم الآخر : « بين الغطاس والميلادي (عيد الميلاد) اياك تسافر يا غادي »

و« في كانون كثّر النار في الكانون » للاستدفاء بها دفعاً لاذى البرد .

و« في كانون كنّ ، وعلى الفقير حنّ » . اي لازم منزلـك مستكناً لان الامطار تعرقل مساعيك وتعرضك للاخطار واعطِ الفقير الذي تسوء حاله في هذا الفصل البارد العاطل من العمل والحركة .

و« في كانون كنّ ببيتك جوّات ملحك وزيتك . » اي اجلس في بيتك قريباً مما عندك من المؤن .

و« بين المواليد والدنوح (عيد الغطاس) عند جـارك لا تروح ، وان رحت خذ زوادتك معك . » لان الامطار والثلوج قد تعيقك عن الرجوع فتحتاج الى الطعام .

و« في كانون الصمّ ، اقعد في بيتك واحتم . » ويقول غيرهم : « اقعد في بيتك وانطمّ . » ومعنى احتمّ الزم الدفء ، وانطم اي غطّ نفسك بالدثر دفعاً للبرد .

وتهبّ الاعاصير الشديدة الهوجاء في كانون فتقول العامة عنها : « رياح كانون شيبت النسور في الجو » لان النسور يطول شبابها ولا تهرم . لكن رياح كانون العنيفـة تبلوها على زعمهم بالشيب لفرط ما تدفعها اليه من الاهوال والاخطار التي تجيئها بالشيب قبل اوانه .

وتكون ليالي كانون عادة ذات عتمة شديدة فيضرب اللبنانيون فيها المثل .

ومن اقوالهم فيها: « عتمة كانون اذا مدّ الانسان فيها اصبعه لا يراها ». و« عتمة كانون لا يعرف الذئب فيها مرقده » اي لا يهتدي اليه.

ومن رواياتهم ان الذئب والفرس تناظرا في ايهما احد بصرًا فقال الذئب: « رأيت شعرة سوداء بارض شحّار في عتمة كانون من مسافة اربع ساعات ». وقالت الفرس: « رأيت شعرة بيضاء في صحن لبن على قوزة ثلج في قمرة تشرين »

وجاء في امثالهم بهذا المعنى: « ما في انقى من قمرة تشرين ولا اظلم (اشد ظلاماً) من عتمة كانون »

وفي اول العقد الثالث من كانون الاول يكون الانقلاب الشمسي وهو غاية طول الليل وقصر النهار. ولكن العامة تجعل ذلك في ٤ منه، يوم عيد البربارة، وتقول في ذلك: « في عيد البربارة بياخذ النهار من الليل نطة فارة»

وتتفجر الينابيع في هذا الشهر فيقولون في ذلك: « في عيد البربارة بيطلع الماء من وكر الفارة.» اي لا يبقى مكان خالياً من الماء.

والهواء الشرقي في كانون نذير الثلج ومن اقوالهم في ذلك: «شرقي الكوانين ثلج.» على ان الهواء الشرقي اذا هب في الشهور الاخرى كان نذير الحر والنشوفة ويعرف عندهم « بالشلوق»

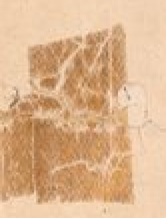
ويستدلون من رعد كانون على تساقط الثلوج في شباط ويقولون في ذلك: « كل رعدة بكانون ثلجة في شباط »

وتتكاثف الغيوم في كانون فتحجب الشمس وتجعل الناس ييأسون من ظهورها ثانية لطول ايام الحجابها، ويروون رواية تؤيد ذلك موجزها: ان اعرابياً جاء الى لبنان في شهر الحصاد وخبر حرارة شمسه. فلما جاء كانون وقرس البرد اخذ يرقب الشمس فلم يرها فسأل احدهم قائلاً: «يا اخا العرب هل شمس الحصيدة تعود؟» اجابه نعم تعود. قال البدوي: «والله لو عادت ما تعود حرارتها.» اي انه لشدة ما ناله من البرد ولطول انحجاب الشمس عنه اصبح يائساً من عود تلك الحرارة التي رآها في الصيف السابق.

ويبدأ اللبنانيون من كانون الاول بغرس نصوب الاشجار على اختلافها.

ولقد عرفوا بطول الاختبار ، وبما تعلموه عن اسلافهم ، ان النصوب التي تغرس في اول الشتاء تفوق بنموها وغضارتها النصوب التي تغرس في آخره. لذلك يقولون في امثالهم : « نصبة كانون الاول خير من نصبة عام اول » يريدون بذلك ان النصبة المغروسة في كانون الاول من السنة الجارية تفضل النصبة المغروسة في شهر آخر متأخر من السنة التي قبلها ويقولون ايضاً : « نصبة كانون الثاني قوام بتصير تاني . » ومعناه النصبة التي تغرس في كانون الثاني لا تلبث ان تصير جسراً تسقف به المنازل ، ومن اقوالهم بهذا المعنى : « احسن زراعة في القطاعة . » اي قطاعة الميلاد من ١٣ الى ٢٤ كانون الاول ، وقولهم : « الاشجار الضخمة لا تروى الا من مطر كانون . » لانه يكون عادة اغزر امطار الشتاء . وكانون عندهم « فحل الشتاء » اي ان الارض لا تعطي الغلال الوفيرة اذا لم تروَ كفاية في كانون .

وفي كانون يشحلون الزيتون ، ويزرعون منه النصوب . ويروون ان اميراً مرَّ بشيخ لبناني فرآه يزرع الزيتون في برد كانون فاعجب بهذا الرجل العاجز يكلف نفسه مثل هذا العناء ، ويزرع شجراً لايثمر الا بعد سنين طويلة يكون فيها الزارع قد صار في عالم الابدية ، فسأله عن ذلك فقال : « ايها الامير اورثنا من قبلنا ونحن نورث من بعدنا . » فامر له الامير بصلة . قال الشيخ : « ايها الامير قلت ان هذا الشجر غير معجل الغلة وقد شاء الله ان يغلَّ في سنته الاولى » فضحك الامير وامر له بصلة ثانية . فقال الشيخ : « وقد اعطى غلتين . » فمضى الامير وهو معجب بحكمة الشيخ وهمته . ومثل هذا الشيخ كثير ، والحمد لله ، بين شيوخ لبنان .



شباط

يقال شباط ، واشباط ، وسباط بالسين المهملة ، وهو شاباطو البابلي . ويأتي بالسريانية بمعنى الجلد والضرب بالسياط . وتقول العامة في لبنان : « شبط البيت » بمعنى كنسه ونظفه بالماء ، و « المشباط » عندهم ضرب من المكانس ، يؤخذ من نبات معروف . « وشبطو » السريانية معناها الواسع ، السبط ، ولعل في ذلك اشارة الى ما ينهمل فيه من الامطار الغزيرة المدرارة . ويقال ان الشمس تدخل فيه برج الحوت . ويقابله بالافرنجية « ڤڤريه » المأخوذة عن فبرواريوس اللاتينية ومعناها « المطهر » نسبة الى ما كان يقيمه الرومانيون من ١٣ الى ٢١ منه من اعياد التطهير والتكفير عن الذنوب . وقد كانوا يصورونه بهيئة امرأة تلبس وشاحاً ازرق ، وقد حملت كناراً بيدها ، والى جانبها آنية من خزف يتدفق منها الماء الغزير ، وعلى رجليها طير البحر المعروف بمالك الحزين . وبذلك كانوا يشيرون الى ما يتساقط فيه من الامطار الكثيرة التي تكاد تغرق الارض ببحر من المياه .

ولقد كان هذا الشهر في اصله ٢٩ يوماً في السنين العادية ، و ٣٠ في النسيئة او الكبيسة . فلمّا اسمى الرومانيون شهر سكستيليس عندهم ، المقابل لآب من اشهرنا ، باسم اغسطوس قيصر تكريماً له اخذوا من شباط يوماً اضافوه الى اغسطوس حتى لا يكون اقل اياماً من شهر يوليو المسمى باسم يوليُس قيصر ، احد سلفائه . وهكذا اصبح شباط على ما نراه في السنين العادية ٢٨ يوماً ، وفي الكبيسة او النسيئة ٢٩ .

***

والاساطير اللبنانية تصوّر شباط رجلاً من اهل الظرف يحب الدعابة ، على

تقلّب في الرأي ، وخبث في الاخلاق ، وكره شديد للعجائز من النساء يدفعه الى السعي في سلبهنّ الحياة ؛ وقد توسعوا بتمديد كرهه وبغضه الى الشيوخ من الرجال ايضاً . ولهذا ترى الطاعنين في السن من الجنسين في بعض انحاء لبنان ، متى قرب شباط ، يرسمون صليباً بالكلس على ابواب بيوتهم دفعاً لاذاه وشره ، تشبّهاً بما فعله بنو اسرائيل في مصر لوقاية ابكارهم الذين استبقاهم ملك الموت حينما اجتاح ابكار المصريين . (خروج : ف ١٢)

ولعل الاسطورة المروية عما يتعمده شباط للشيوخ من الموت والهلاك ذات علاقة بمعتقد الفينيقيين الذين كانوا يؤلهون قوى الطبيعة ويعتبرون الشتاء رمز الفناء والموت اعتبارهم للربيع رمز الحياة والانعاش والانتاج ، ومعتقدهم ذاك كان يدفعهم الى اقامة حفلتين مختلفتين لالههم ادونيس ، مثال الشمس ، الاولى ابان الشتاء احتفالاً بموتـه المرموز به الى موت الطبيعـة ، والثانية ابان الربيع احتفالاً بقيامته المرموز بها الى تجدد الطبيعة وعودها الى الحياة .

وهناك من ينسب الاسطورة المذكورة الى ايام « برد العجوز » المعروفة عند العرب ، وهي سبعة : اربعة منها في آخر شباط ، وثلاثة من اول اذار ، واسماؤها : صنّ ، وصنبر ، ووبر ، وآمر ، ومؤتمر ، ومعلّل ، ومطفئ الجمر . ومما قالوه فيها ان عجوزاً دهرية كاهنة من العرب كانت تخبر قومها ببرد يقع في آخر الشتاء يسوء اثره في الماشية . فلم يكترثوا لقولها حتى فوجئوا به فانزل بهم الاضرار الفاحشة . وقيل ايضاً ان عجوزاً كان لها سبعة بنين سالتهم ان يزوجوها والحت فقالوا ابرزي للهواء سبع ليالٍ حتى نزوجك . ففعلت ، والزمان شتاء ، فماتت في السابعة .

وهذه الايام السبعة يدعوها اللبنانيون « بالمستقرضات » ويقولون ان شباط استخدمها لاهلاك العجوز . ولعجوزهم اسطورة يتداولونها ملخصها : ان عجوزاً ارادت اتقاء شر شباط ، عدوّ العجائز اللدود ، فاعدّت عدتها من طعام ووقود وملابس . وعلم شباط بامرها فصمّم على الفتك بها . ولما صار اليه الحكم في الطبيعة اخذ يرمي الارض بالبروق والرعود والصواعق والامطار . ثم ارسل عليها ريحاً شمالية باردة كستها بالثلوج والصقيع ، وكادت تقضي بالموت على كل ذي

حياة . اما العجوز فقبعت في منزلها ، مع ابنة لها كانت تعينها على مكافحة شباط ، وأكبت على ايقاد النيران ، والتدثّر بالملابس الثقيلة ، وتناول المآكل والمشارب المدفئة . حتى اذا صار شباط في عقده الثالث تنفست الصعداء وقالت متهكمة : « راح شباط وفي قفاه مخباط . »

وسمع شباط مقالها فازداد حنقاً ولم يرَ بدّاً من اطالة ايامه ، فجاء الى رديفه اذار يستقرض منه ثلاثة ايام يستخدمها في القضاء على العجوز وقال له : « يا اذار ، يا ابن عمي ، ثلاثة ايام منك ، واربعة مني ، لاوقد العجوز ردانها ، وابيعها فدانها . » والردان دولاب كانت العجائز اللبنانيات يستعملنه لتسليك الحرير ، والفدان الزوج من البقر .

وفي رواية ثانية انه قال : « لاوقد العجوز دولابها ، واضع رأسها بين ركابها . »

وفي رواية ثالثة : « لاهلك العجوز وبنتها ، واشوّفها عاقبة عنتها . »

فرقّ آذار له واقرضه ما طلب . ومضى شباط في انتقامه في الايام المستقرضة ، وقد فرغت عدة العجوز . وبعد ان اوقدت حتى دولابها ومغزلها للاستدفاء ، واصبحت لا تملك ما تدفع به اذى البرد ، تمكن شباط من اخماد انفاسها ، وتم له النصر عليها .

وعند قدماء الانكليز والاسكتلنديين حكاية تقليدية كهذه مآلها ان آذار يستعير ثلاثة ايام من نيسان ، وهذه الايام الثلاثة كانت عندهم ايام شؤم . فشيوع هذه الحكاية باركانها المتقاربة عند العرب والانكليز واللبنانيين يدل على ان لها اصلاً واحداً يعود الى الخرافات الوثنية القديمة .

ويخاف اللبنانيون المستقرضات وامطارها وثلوجها ولا يأمنون على انفسهم من برد الشتاء الا بعد زوالها . ومن اقوالهم في ذلك : « في المستقرضات عند جارك لا تبات . » — « لا تقول خلصت الشتوية حتى تخلص المستقرضات [illegible]كية » — « ما لك طرش يقوم الا بعد مستقرضات الروم . »

وينسبون الى شباط التقلب لتقلب الجو فيه بين صحو ومطر . ويتهكمون على المتقلب في مبادئه وافكاره ويتهمونه انه من مواليد هذا الشهر ومن اقوالهم في ذلك : « شباط ما على كلامه رباط . » — « لا تمشِ على نقا كانون

ولا على غيم شباط .»

وشباط عندهم « اعور » . فاذا اكفهرّ الجوّ فيـه وامطر قالوا: « غمض الاعور عينه». وان صفا وصحا قالوا : « فتح الاعور عينه .»

وينسبون الى شباط النقص ويشبهون به كل ذي نقيصة ويقولون في ذلك: « فلان مثل شباط بيعير وبيستعير وبيظل ناقص .»

ويصفونه ايضاً بالغدر : « راح شباط الغدار واجا اذار الهدّار .»

وشمس شباط وماؤه عندهم مضرّان. فالشمس تمرض كل من تعرض لها ، لذلك يتقونها شديد الاتقاء ويوصون بمحاذرتها . وماء المطر فيه موذٍ فلا يستحمون به ، ولا يدعونه يسيل الى آبارهم لئلا تأسن وتتولد فيها الديدان والهوامّ . ومن اقوالهم في ذلك: « شباط غيمه وهواه خير من شمسه وشتاه » اي مطره «وشمس شباط تخبط الراس بالمخباط » ، وقولهم بلسان العجوز: « شمس شبـاط لكنتي (لانها تكرهها وتريد لها الضرر) وشمس اذار لبنتي (لانها تودّ لها ما هو اقل ضرراً) وشمس نيسان لي ولشيبتي » (لانها تريد لنفسها النافع المفيد)

وقد مهروا بمعرفة تأثير الشمس في الجسوم على اختلاف الفصول فقـالوا في ذلك: « شمس الربيع بتسرّ (من السرور) ، وشمس الصيف بتحرّ (من الحرارة) وشمس الخريف بتهرّ (اي تسقط الورق) وشمس الشتاء بتضرّ (من الضرر) .»

وبرد شباط يضعف الاجسام ويفقدها النضارة والصحة . ويقولون في ذلك ان اذار سأل شباط وهو راحل : « كيف فارقت الناس يا اخي شباط ؟ » فاجابه: « تركتهم صفر مبعجرين (متورمين) على المواقد قابزين (جاثمين) .»

واذا مضى شبـاط وتصلبت الخضراوات الشتوية كالفجل والخس واللفت وما شاكل قالوا : «غاط عليها شباط »

وتراهم رغم مطاعنهم بشباط واتهامهم اياه مختلف التهمات ، يعطفون عليه حيناً ويقولون عنه انه «ابن حلال » اي طيب القلب . ومن اقوالهم في هذا المعنى « شباط لو شبط ولو لبط ريحة الصيف فيه .» وذلك لقربه من فصل الربيع . وينسبون الى برده منع الجراد والجدب : « برد شباط يمنع الجراد والقحاط » اي القحط او المحل ، لانه يميت بيوض الحشرات التي تفتك بالمزروعات

وعندهم ان شباط على شدة برده تدبّ فيه السخونة في الطبيعة بجمار غير منظورة تقع من السماء ، وموعد وقوعها ٧ و ١٤و٢١ منه ، ويزعمون ان الاولى تسخن التراب ، والثانية الماء ، والثالثة الهواء . ومن ثم يصير الربيع على الابواب. واعتادوا ان لا يأكلوا « اليقسما » ، وهو مزيج الدبس والثلج ، الا بعد الجمرة الثالثة حيث لا يبقى خوف من التضرر بالبرد ويقولون في ذلك : « اليقسما في اول جمرة سمّ ، وفي ثاني جمرة دم ، وفي ثالث جمرة كل واصطم . » اي كل واسكت.

ويقول الزراع منهم ومن يهمهم مراقبة الجوّ ان الايام الثلاثة التي تقع فيها الجمار الثلاث تكون متشابهة طقساً ، فاذا كان الجو صاحياً دافئاً جميلاً او ممطراً بارداً مكفهراً او غير ذلك يوم وقوع الجمرة الاولى في ٧ منه ، انتظروا ان يكون كذلك في اليومين اللذين تسقط فيهما الجمرتان التاليتان في ١٤ و ٢١ منه.

ويسمون عصارة الاشجار « الماوية » ، من الماء ، ويقولون في ذلك : « بعد تكامل الجمار تدبّ الماويّة في العروق . وبيزهر اللوز والبرقوق . » وهذا يصح على الساحل لا على الجبل.

وفي شباط تلد المعزى صغارها . فاذا تأخرت الى اذار كان ما تلده ضعيفاً مهزولاً . ويقولون في ذلك : « لا تربي الا جدي شباط » . ويتشاءمون من السنة الكبيسة التي يكون شباط فيها ٢٩ يوماً ، ويزعمون انها تميت الماشية ، ولاسيما المعاشير والمواليد ، ومن منقولهم في ذلك : « في سنة الكبيس ، خليك على طروشك حريص . »

اذار

أذار او آذار من ادارو البابلية بمعنى البيدر او الحصاد او الحقل . تدخل فيه الشمس برج الحمل . يقابله من الشهور الافرنجيـة « مارس » المسمى باسم والد رومولوس باني رومية وواضع الاشهر الرومانية ، او باسم المريخ اله الحرب. كان الاقدمون يمثلونه بصورة رجل يلبس جلد ذئبة (رمزاً الى معبودهم الـه الحرب) وحوله تيس من المعزى ، وسنونو ، ومركب ملآن لبناً وعشباً اخضر.

* * *

رأى اللبنانيون حالة هذا الشهر الجوّية متقلبة لا تثبت على حال ، فتكون جميلة هادئة في بعض السنين، ورديئة مضطربة في غيرها ، فتضاربت فيه اقوالهم. فمما قالوه عن رداءتها واضطرابها :

« اذار الهدار فيه الزلازل والامطار ، وفيه سبع ثلجات كبار ما عـدا الصغار. » يريدون بالزلازل الانهيارات الارضية التي يكثر حدوثها في لبنان في هـذا الشهر في السنين الغزيرة الامطار . و« في اذار تمطر في الليل اكثر من النهار .» ربما كان تعليل ذلك ان حرارة شمس الربيع توجد النشوفة في النهار وقلما تؤثر في رطوبة الليل فيخف المطر في الاول ويغزر في الثاني . و « امطار اذار تضيع الراعي عن باب الدار » ، اي تضلّـه عن باب منزلـه لغزارتها. و« في ادار البقرة بتعجّ وبتنـادي آه على غـبرة من غبرات البيـدر » ، اي ان سوء الحالة الجوّية من مطر وبرد تجعلها تتلهف على ايام تموز مع ما ينالها فيها من تعب في دياسة الحنطـة وهي تجرّ النورج . و«خبي فحماتك الكبار لعمك آذار » لان البرد قد يشتدّ بعض السنين في اذار خلافاً لما يُنتظر فيه من جمال الطقس باقبال الربيع، فيحذّر الناس بهذا المثل من استنفاد كل الوقود المعدة للشتاء ويُنصحون باستبقاء جانب كبير منها لاذار لئلا ينالهم اذى فيه في صحتهم

وراحتهم .

ومما قالوه عن جمالها وهدوئها : « في اذار بتنقــل الشمس من برج الحوت وبتقول للبرد موت . » هذا في الغالب ولكل قاعدة شواذ . و« في اذار بيعشش الدوري وبتورق الاشجــار . » هذا في الساحل وبعض الوسوط . و « في اذار بيشنهق الحمار » ، لظهور المرعى في الربيع . و« في اذار بيصيح حبل القرّ ما بقى على الدنيا شر . » وحبــل القرّ صغار الضفادع تنقّ كل مساء في البرك والمستنقعات ، ونقيقها عندهم دليــل على ادبار الشتاء واقبــال الربيع . و« في عاشر آذار طيلع بقرك عا لدار » لتحسن الحالة الجوّية .

ويرى الفلاحون ان نوم ماشيتهم من اذار فصاعدًا في الفــلاة معرضة للبرد الربيعي المعتدل انفع لها من نومها في الزرائب الموصدة الابواب، ويقولون في ذلك : « في اذار اذا سبقك جارك على مرعى الربيع اسبقه انت على نوم الصقيع . » على ان الجوّ في هذا الشهر لا يمكن الركون اليه لان الصحو والمطر قد يتعاقبان مرارًا في النهار الواحد وقد قالوا : « في اذار بيترنخ الراعي وبينشف بفرد نهار . »

ويزعمون ان هذا التقلب اكثر مــا يقع في ٢١ اذار المسمى باصطلاحهم « يوم نقلة الشمس » . ويحسبون الحساب للامطار التي قــد تنهمل فيــه فلا يخرجون في اثنائه الى سفر بعيــد ولاسيما في الطرق الجبلية ، ولا يترك رعاة الماعز مشاتيهم الى المصايف قبل انقضائه . ويسمي اهل الشوف هذا النهار « دنح شاني » وقد تقدم معنى الدنح اما شاني فقرية من الجرد غير بعيدة عن صوفر ويروون ان عجالًا (راعي عجول) في هذه القرية سرّح عجولــه يومئذٍ الى المرتفعات المجاورة وكان الجوّ صاحياً لكنه لم يلبث ان تعكر واشتد البرد وانهمرت الامطار حتى اوشك احد العجول ان يموت دنقاً ، فطرح الراعي الصوت على القرية فاسرع اليه الاهلون وذبحوا العجل وشرعوا في سلخ جلده ، لكن سرعان ما طلعت عليهم شمس فياضة النور ، شديدة الحرّ جعلتهم لا يقوون على انجاز عملهم لو لم يلجـأوا الى ظل اشجار نابتــة في تلك الاعالي فقيل في ذلك : « اعجب من دنح شاني دنق العجل من البرد وسلخوه في الفَي » وفيه اشارة الى سرعة تقلّب الطقس في هذا الشهر .

وشمس اذار عندهم ليست نافعة على انها ليست ضارّة بمقدار ما تضرّ شمس شباط ، لذلك اشتهتها العجوز لبناتها على ما مرّ بك في الكلام عن شباط .

ويعتمدون على آذار في تعديل موازنة المطر فان نقص في الكانونين وشباط غزر في اذار وتعوض النقص . وان زاد في الكانونين وشباط قلّ في اذار او انحبس فتعدلت الزيادة . ويقولون في ذلك : « السنة بآذارها ان أقبلت اذار وراها وان امحلت اذار وراها »

ويستبشرون برعد اذار معتقدين ان الرعد في هذا الشهر بشير المطر في الشهر الذي يليه . « كل رعدة باذار مطرة بنيسان »

واهم ما يشتغلون به من شؤون الزراعة في هذا الشهر بالسواحل زراعة الحمص ويحبّونها لانها معجلة الغلّة ، ويقولون فيها : « الحمص متى اطلّ غلّ » ومعنى ذلك امكان الانتفاع به من حين ظهوره بتقديمه طعاماً للماشية، حتى اذا ظهر حبه اكله الناس اخضر . ويبيعونه في اسواقهم منادين عليه : « ام قليبانة خضرا وملانة ! »

ويحين في هذا الشهر موعد حراثة الكروم لان الارض « تطيب » اي تصير متأهبة للحرث بسبب الحرارة الربيعية ، فيباشرون ذلك ولو تحت المطر ومن اقوالهم بهذا المعنى : « في اذار حط القبع على رأسك وافلح » والقبع ما يلبسه الفلاح في رأسه لاتقاء المطر . ويقولون ايضاً : « في عيد الاربعين شاهد جاهد على كرمك جاهد » وهذا العيد للاربعين شهيداً يقع في ٩ اذار ومنه يبتدأ بشذب الكرم « تشحيله » وحراثته ويقولون : « الكرم اذا ما انفلح باذار بار »

وفي عيد الاربعين شهيداً يأكل فلاحو اللبنانيين « كبة الحيلة » وهي من السميذ يلتّ بالدقيق ويجبل بمسلوق اليقطين او البطاطا ثم يقطع كتلاً تجوف وتصقل وتحشى بالقورما والبصل المحمر والكشك او اللبنة وتطبخ كبباً او تقلى اقراصاً . ومن تقاليدهم جعل هذه الكبب والاقراص اربعينات على عدد الشهداء . وقد عرفت عجوزاً في احدى قرى الشوف عنّ لها في مساء هذا العيد ان تكرم الشهداء باكل اربعين كبة بحساب واحدة لكل منهم فلم يمر عليها ساعتان حتى اصابتها تخمة اخمدت انفاسها فذهبت ضحية جهلها ونهمها .

وعيد الاربعين شهيداً هو عندهم آخر مرحلة من مراحل الشتاء. ويقولون فيه :« بتظل الدنيا تجاهد لعيد الاربعين شاهد » اي ان الطبيعة تظل هائجة ثائرة حتى حلوله ومن بعده تخف وطأة البرد والمطر واذا حصل ثلج كان سريع الذوبان بمفعول سخونة الربيع . امـا معمعان الشتاء فهو عندهم عيـد القديس انطونيوس الكبير ابي الرهبـان الواقع في ١٧ كانون الثاني ويسمونه « اشد الشدّ » اي ان الامطار والبرد والبروق والرعود والصواعق تكون فيه في اعلى درجة يمكن البلوغ اليها من القوة والشدة.

اما مواليد الماشية في هذا الشهر فافضلها عندهم الجحاش. لذلك يقولون « لا تقتني الا جحش اذار . »

وفي اذار يشرعون بتربية دود القزّ :« في عيد البشارة بزركم يا بزارة » اي قدموه الى المدخن :« والقز شيلة من آذار شيلة من نيسان » اي قسم منها ينقف في اذار وقسم آخر في نيسان، وهذا في الساحل، اما مواسم الجبل فتتأخر عن مواسم الساحل نحواً من شهر قياساً مطرداً.

ويعتقدون ان صفاء الجو يوم عيد البشارة بشير الاقبـال في موسم الحرير وان تلبده بالغيوم نذير الامحال بدليل قولهم :« يوم عيـد البشارة اذا كان في السماء غيمة دور الكارة ما بيطلع من القز ولا شكارة » ومنهم من يقول : « ولا اشارة » ومعنى اشارة في اصطلاحهم : الشيء القليل . والكارة دائرة من قماش يستعان بها في صنع الخبز اللبناني المعروف «بالمرقوق او المراشيح» . والشكارة القليل من الفيالج (الشرانق).

وفي عيد البشارة يكشف الاحداث بختهم بتقليب الحصى باحثين تحت كل حصاة عن شعرة فاذا وجدوها نظروا في لونها فان كانت بيضاء تفاءلوا بها واستبشروا في مستقبلهم خيراً وان كانت سوداء تشاءموا وخافوا ان ينالهم فيه مكروه.

وفي هذا الشهر تنمو الزروع وتصير على اهبة الاسبال ويقولون في ذلك : « اذار حبل ونيسان سبـل » وهذا في الساحل اما في الجبل فيقولون :« نيسان حبل ونوار سبل »

وفي اذار « يقع زمن الاعتدال الربيعي » وتقول العامة في ذلك :« في ٢١

اذار يتساوى الليل والنهار » وبعد ذلك ياخذ النهار بالطول والليل بالقصر ، الى زمن الاعتدال الخريفي.

و ٢١ اذار هو آخر فصل الشتاء واول فصل الربيع. ومن عادتهم قسمة فصل الشتاء المؤلف من ثلاثة اشهر او تسعين يوماً والواقع بين ٢١ كانون الاول و ٢١ اذار قسمين: اولهما ينتهي في عيد دخول المسيح الى الهيكل الواقع في ٢ شباط ويسمونه « الاربعينية » لانه مؤلف من اربعين يوماً ، وثانيه وهو المنتهي في ٢١ اذار يسمونه « الخمسينية » لانه مؤلف من خمسين يوماً ، ولهم قاعدة يستدلون بها مقدماً على حالة الطقس في القسمين ، اي « الاربعينية والخمسينية » وذلك انهم يرصدون مغيب الثريا ليلة عيد البربارة الواقع في ٤ كانون الاول ، فاذا غابت في صحو وجو رائق قالوا ان « الاربعينية » ستكون ناشفة اي قليلة المطر والخمسينية رطبة اي كثيرته ، والعكس بالعكس اي اذا غابت الثريا في يوم ممطر وجو متجهم قالوا ان الاربعينية ستكون رطبة اي كثيرة المطر والخمسينية ناشفة اي قليل مطرها.

وفي هذا الشهر يكون الفلاح في الغالب قد جاء على ما عنده من غلة مدخرة فيحتاج الى المؤونة، فتسوء اخلاقه ، ولاسيما اذا كانت الحنطة قد ارتفعت اثمانها كما يحدث عادة . ولعل ذلك هو خير تفسير للقول الذي يرددونه وهو : « في اذار بتغلا المونة وبيكتر النقار »

وتتحسن الصحة في هذا الشهر لتقلص ظل البرد وظهور الربيع وخروج الناس الى البرّية يتنشقون النسيم العليل ، ويشربون الماء الزلال ، لذلك يقولون : « سأل نيسان اذار وهو راحل يا اخي اذار كيف فارقتهم ؟ اجاب اذار وهو يبسم : فارقتهم حمر موردين (بلون الورد) وعلى النهورة (الانهار) واردين »

نيسان

نيسان من اصل بابلي ومعناه في العبرية: « الزهر » و« الاسبال » و« السبل الاخضر » . سمي كذلك لان الازاهير والزروع تظهر فيه ، وقيل انه مركب من كلمتين فارسيتين : « نو » و « اسان » ومعناهما: « اليوم الجديد » اشارة الى تجدد الطبيعة فيه بمناسبة الربيع ، يقابله من اشهر الفرنجة « اڤريل » من لفظة لاتينية معناها: « الافتتاح » او « الابتداء » ، ولعلهم اطلقوها عليه لان الارض تفتح فيها احشاءها وتخرج النبات ، او لانه كان عند بعضهم زمن مفتتح السنة او مبتدأها . خصه الاقدمون بالالهة « ڤنوس » آلهة الحب والجمال والمعروفة عند العرب بالزهرة وجعلوا بعض ايام من اوله اعياداً لها ، وصوره الرومانيون بشكل رجل يرقص بين العازفين ، وكان الشهر الثاني من سنتهم المبتدئة باذار . اما الفرنسيون فكان عندهم في الاجيال الوسطى مطلع السنة الى ان نقل ملكهم شارل التاسع في السنة ١٥٦٤ هذا المطلع الى اول كانون الثاني ، ومن ثم تابعهم الناس على ذلك الى يومنا . ويقولون ان هذا النقل كان اخص الاسباب في « كذبة اول نيسان » المعروفة ، لان القوم لما كان هذا الشهر مطلع السنة كانوا يتهادون فيه ويتعايدون ، فلما نقل المطلع الى اول كانون الثاني صارت معايداتهم في اول نيسان مزاحاً ودعابة وهداياهم وعوداً فارغة واكاذيب ، فجرى ذلك عادة عندهم كل عام ، وانتقلت هذه العادة منهم الى غيرهم الى ان اتصلت الينا ، اما « سمك نيسان » فالمقول فيه انه مأخوذ عن « برج الحوت » او « برج السمك » كما يدعى في لغاتهم وهو البرج الذي تنتقل منه الشمس في هذا الشهر .

***

يكون نيسان عادة في لبنان ذا جو صافٍ يكثر فيه الصحو وقد تشتد الحرارة فتظهر الدبابات والهوام من مخابئها والطيور من اوكارها ، ويخرج الناس الى

الحقول لتعهد الاشجار بالشذب والارض بالحرث والكل فرح مسرور بادبار الشتاء واقبال الربيع . ومن اقوال العامة في ذلك :

« في نيسان تدخل الشمس برج الثور ، وتخلع على الدنيا ثوب النور » .

وقولهم : « في نيسان اطفِ نارك ، وافتح شبابيك دارك ، واسبح في الشمس لزنارك » .

وقد يشتد البرد في نيسان بعض السنين وتتساقط الامطار والثلوج ، على ان ذلك نادر . وقد حصل مرة في احدى السنين ان نزلت ثلوج في نيسان غطت اكداس الحطب والجرزون ، فقالوا في ذلك عبارة ما برحوا يرددونها كل عام ، متى جاء نيسان ، على سبيل الذكرى وهي : « لا تتعجب يا انسان ، في نيسان ، جرفنا الثلج عن الكدسان » . وهذه الكدسان من الحطب يقطعونها في آذار ويحفظونها في الحقل ريثما تيبسها الشمس فينقلونها الى المنازل للانتفاع بنارها في الشتاء القادم ، ولكنهم سنتئذٍ اضطروا الى نقلها في نيسان ، بسبب ما حصل عندهم فيه من البرد الشديد ، الذي لم يكونوا بانتظاره ولا اتخذوا العدة لاتقائه .

ويروى ان الثلوج تساقطت سنة اخرى في نيسان فغطت المراعي ، وكان العلف المدّخر للشتاء قد نفد فتعذر على الفلاحين ان يجدوا ما يغذون به ماشيتهم ، وكان بعضهم قد شذبوا كرومهم فجاءوا يجرزونها للماشية علفاً فاكلت وعاشت ، ولكن البرد اضر بكرومهم اذ تعرت بالشذب فيبست ، اما الذين لم تشذب كرومهم فقد سلمت لانها لم تتعرض للبرد كالاولى ، ولكن ماشيتهم لم تجد ما تأكله فهلكت ، فقالوا في ذلك عبارة ما برحوا يرددونها كلما سقط الثلج في نيسان او خيف من تساقطه ، من باب التمثل ، وهي : « ما قلنا راح آذار وهدراته ، حتى اجانا نيسان بثلجاته ، فالذي شحّل كرماته ، ربح بقراته ، وخسر كرماته ، والذي ما شحّل كرماته ، خسر بقراته ، وربح كرماته » .

ولا يخفى ان هذه الرواية على سذاجتها وايجازها تروي حادثاً تاريخياً قد يجد فيه فلاحو اليوم عبرةً وذكرى .

ولشذب الكروم عندهم (او تشحيلها او تربتها) طرق متوارثة تدلّ على حذق ومهارة ، منها طريقة حريّة بالذكر يسندونها الى شيخ من شيوخهم يقولون انه

مر بكرّام رآه يشذب كرمه فوقف يراقبه، فاذا الكرام اكتع ولا يحسن العمل، فنصحه الشيخ قائلاً : « اقطع يا ابني من الدوالي ما كان مثلي ، ومن القضبان الراضع والراجع وما كان مثلك» فذهبت نصيحته قاعدة للشذب يرددونها ويجرون عليها . وقد اراد الشيخ بما كان مثله من الدوالي الهرم الفاني ، واراد بالباقي النابت على الاصول والعائد الى الوراء . والاكتع او المعوج، وكلها تسيء الشكل الهندسي للدالية وليس منها فائدة تذكر . اما القضبان التي تترك فهي المسماة في عرفهم « الملوك » وميزتها النماء والنضارة ويشذبونها عادةً على برعمين الى ستة تبعاً لمقدار نموها ونضارتها .

وفي الغالب يكون نيسان في لبنان ناجياً من الثلج ، قليل المطر ، فتحتاج الزروع فيه حاجة شديدة الى مطرة ترويها . وتساعدها على الاسبال ، لذلك اشاد اللبنانيون بمدح مطرة نيسان . وعظم فائدتها ، فمما قالوا فيها :

« المطرة في نيسان ، بتسوى القرقة والصيصان » . والاصل في هذا القول ان اميراً لبنانياً استصنع احد الصاغة دمى من ذهب ، مرصعة بالماس والحجارة الكريمة ، تمثل الدجاجة وفراخها المسماة في لبنان « القرقة وصيصانها » ، وكان فخوراً جداً بهذه الدمى و كثرة ثمنها ، وقد دخل عليه في يوم من نيسان بعد جفاف طويل خيف منه على يباس الزروع احد المقربين منه ، فسأله الامير : « والقرقة والصيصان » على طبق بين يديه : « بكم تثمن هذه القرقة والصيصان ؟ » اجاب الرجل : « ايها الامير ، مطرة في نيسان بتسوى القرقة والصيصان » . مشيراً بذلك الى ان ما ينجم عن مطر نيسان من الخصب في الغلال لا يُمكن تثمينه ، فذهب جوابه مثلاً .

ويقولون ايضاً بهذا المعنى : « المطرة في نيسان ، بتحيي الانسان » . « والمطرة في نيسان ، جواهر ما لها اثمان » . « والمطرة في نيسان ، بتسوى السكة والفدان » ومعناه لا تحصل فائدة من السكة والفدان وما يزرع بهما ، ان لم ترو تلك الزروع امطارُ نيسان . ويقولون : « في نيسان الدلفة في الحارة ، بتجيب اليها من القمح غرارة » لان الدلفة لا تحصل ما لم ينهمل المطر ، والمطر ينعش الزروع ويوفر الغلال ويزيدها اقبالاً .

ويستنكرون انحباس المطر في نيسان كل الاستنكار ، لما يعقب ذلك من جدب ويقولون : « نيسان بلا شتي ، مثـل العروس بلا جلي » اي ان نيسان ، على جماله ، اذا لم تقع فيه الامطار ، فلا يستغلّ الفلاحون فيه من مواسمهم ما يسرُّهم ، كما ان العروس ، مهما كانت جميلة ، اذا لم تزفّ بحفلة غنـاء وطرب ، فلا يجد حاضرو العرس ما يدعوهم فيه الى الاغتباط والبهجة.

وقد يشتد الحر في نيسان فتبدل الاثواب الثقيلة بالاثواب الصيفية الخفيفة ، ودثر الصوف التي للاسرّة بدثر القطن والكتان المستعملة عـادةً في الصيف ، ويقولون في ذلك: « في نيسان ، بتصير الدنيا عروس ، وبيخففوا الغطا والملبوس» على انهم يتحفظون في هذا التبديل محـاذرين التسرع فيه ، لما قـد ينجم عنه احياناً من اذى البرد ، ولاسيا في الليل ويقولون: « في نيسان من خفف لبسه ، في خفو شمسه، اضرّ نفسه». وشمس نيسان عندهم ذات فائدة لمن يتعرّض لها ، لذلك اشتهتها العجوز « لها ولشيتها » كما مرّ بك في الكلام عن شهر شباط.

ويظهر ان التبكير في غرس الاشجار الذي اشرنا اليه عنـد كلامنا على الكانونين لا يصح في غرس التين الـذي موعده نيسان ، كما يتضح من المثل العامي الآتي : « متى صـار ورق التين كف غراب ، قصّ ونصاب » ولا يصير ورق التين كذلك ، ولاسيا في الجبل ، الا في شهر نيسان.

وفي اعالي الجبال يزرعون الحمص في هذا الشهر ويقولون في ذلك : « متى صار ورق التين كف غراب، ازرع حمصك في التراب » وفي نيسان تجمّ اغراس التوت المزروعة حديثاً اي تقطع لتنمو ويقولون في ذلك: « شمّ وجمّ » اي قف حذاء الغرسة واقطعها على مساواة انفك . وهذا قياس للطول الواجب ان يترك لاغراس التوت عند « جمّها »

ويستحسن من مواليد الماشية في نيسان امهار الخيل ، ويقولون في ذلـك: «لا تقتني الا مهر نيسان» لان الطقس يوافقه فينمو ويؤمّل له المستقبل الحسن.

وفي اواسط نيسان تظهر الطبيعة في لبنان بمظهر الصيف ، مع ان هذا الشهر هو من فصل الربيع ، ويقولون في ذلك : « شعنن وادخل » اي بعد الشعنينة التي تكون غالباً في نيسان يدخل الى الصيف او الى جوّ جميل يشابه جوّ الصيف.

وفي نيسان يستثمر عادةً موسم القز الذي ما زال اللبنانيون يعدّونـه اهم مواردهم الاقتصادية ، رغم ما ناله من الصدمات ، في هـذه السنين الاخيرة ، ولهم في هذا الموسم امثال وتقاليد كثيرة نورد بعضها هنـا لانها ذات علاقـة بالموضوع الذي نعالجه . منها :

« في نيسان الحكم للنسوان » لان النساء يرئسن ادارة الموسم فينطلقن من قيود الاعمال المنزلية ويأمرن الرجل بعمل مـا يحتجن اليه من المعـاونات في مهامهن ، ويستخلص من ذلك ان رئاسة الاسرة في لبنان كانت دائماً للرجل على ما اوجبته النواميس الالهية والطبيعية . ومنها : « القزّ بدها فزّ » اي يلزمها تعب وعناء . ويقولون في مراحل القز او اطوارها الاربعة المسماة بالفطرات : « اول فطرة ، الطعمة قطرة قطرة » . « في فطرة التنتين ، دلّي الطبق طبقين ، واستبشري بوفاء الدين » . « في فطرة التلاتي ، حطي الواطي عالي والعالي واطي ، واصحي من الشماتة » . « في فطرة الرابعة ، طعمة متتـابعة ، ان سلمت ذهب ، وان مرضت يا ضيعان التعب » . وبعد ان تصير القز في اليوم الخامس بعد الفطرة الرابعة يقال : « ليلة الخمسة ، كبري الكمشة » . « ليلة الستة ، كشي وحطي » . « ليلة السبعة ، ما لها شبعة » . « ليلة الثمانية ، عجوز ثانية » . « ليلة التسعة ، راحت على الشيخ تسعى » . « ليلة العشرة ، اكلتها قشرة » ، اي قليلة . ويقال ايضاً : « عشر ، ودشر » . ويقال : « طلعت القزّ على الشيح ، اقبر مرتك واستريح . »

وفي هذا المثل الاخير اشارة الى ان المرأة في لبنان تعاون الرجل في اعماله اليدوية ولاسيما في تربية القز ، ولاجل هذه المعاونة يرى نفسه في حاجة قصوى اليها ، فاذا فرغ من العمل استغنى عنها ، وقد عرفت في بعض القرى اعزاباً يلحّون بالزواج قبيل موسم الحرير ليكون الى جانبهم فيه زوجة تعاونهم عليه ، ولولا ذلك لارجأوا الزواج بل لما اقدموا عليه .

ويقولون ايضاً في نيسان ، تنشد العصافير الاغنية الآتية : « طاطا وزّ ، طاطا وزّ ، هي المنجل جات القز » . فمن طالع هذه العبارات العامية رأى فيهـا صورة صحيحة للحركة النشيطة التي تظهر في الاوساط الزراعية في لبنـان ايام القز ، وادرك ما اتصف به الفلاح اللبناني من الذكاء والاقدام وبعد الهمة .

ايار

كان الشهر الثالث من السنة الرومانية قبل الحساب اليولي ، ومن ثم اصبح الخامس من السنة حتى اليوم ، ولفظه في العربية يقال انه من اصل بابلي بمعنى « الاشراق » ومنهم من يرجعه الى اصل فارسي بمعنى « الربيع » . فيه تلبس الطبيعة اجمل زخارفها وتتزين بابدع حلاها من خضرة وزهر ورياحين ، يقابله باللغات الفرنجية « مه » او « مايو » من « مايوس » اللاتينية المنسوبة الى الالهة « مايا » ام عطارد ورمز الارض الخصبة . كان لها عيد في مطلعه ، وفي ٢ منه كانت تختتم اعياد الآلهة فلورا ربة الزهر . ولعلّ تلك الاعياد هي الاصل لما لا يزال يجري حتى اليوم في اكثر الاصقاع خلال شهر ايار من الحفلات اللطيفة المسماة « اعياد الازهار او حرب الازهار » . ومن اول عهد الانتداب شهدنا هذه الاعياد يحتفل بها في بلادنا احتفالات جميلة ، نخص منها بالذكر : الاحتفالات التي تقام كل عام في العاصمة بمحلة الزيتونة على اكمل نظام وتشهدها الجماهير . وكان الاقدمون يتطيرون في ايار من عقد الزواج مخافة ان يحل بالمتزوجين فيه مكروه لانه كان عندهم شهر الموتى ، ولا يزال بعض الاوربيين حتى اليوم يصدق هذه الخرافة ، وقد رأيت في بلادنا من ينهج نهجهم في تصديقها .

ولايار صورة رمزية في قصر اللوفر تمثله بشكل رجل متوسط العمر يلبس ثوباً فضفاضاً بكمين واسعين وعلى رأسه سلة ملأها باجمل الازهار وازهاها .

. . .

وليس ايار عند العامة في لبنان بالاسم المستحب فاستبدلوه بـ « نوّار » ومنهم

من لا يعرفه الا بهذا الاسم فيقولون: « نوّار نوّر الدنيا » اي اضاءها ، فكأنهم شقوه من النُوْر اي الضياء او الاشراق لزهو شمسه وشدة لمعانها ، ولعلّهم اخذوه من « النَوْر » بمعنى الزهر لانه عندهم شهر الازهار ولاسيما الورد كنيسان في الساحل ، ومن اقوالهم في ذلك : « في نوار الورد اقعد بالفي وتذكر ايام البرد »

وتتناقل العامة في لبنان عن لسان الورد في ايار البيتين التاليين :

انا الورد ، انا سيد كل الزهر شوكي سلاحي ، ونايل رتبتي بالقهر
بغيب عنكم سنة، وبطلع عليكم شهر ومويتي في قماقمكم طويل الدهر

ولم يبق الورد في لبنان مختصاً بشهر دون سواه لان اجناسه التي تزهر في كل شهر من شهور السنة،حتى في الشتاء باعالي الجبال،قد تكاثرت بما جيء منها من الخارج . لكن هذه الاجناس ليست كالورد « الجوري » الخاص بشهر ايار والمعروف في لبنان بجمال منظره وطيب رائحته . وهذا الجنس من الورد يحبه اللبنانيون ويكثرون من زرعه في حدائقهم، وكان القدماء يأخذون من قضبانه مواسير لغلايينهم بعد ثقبها بسفود من حديد من الطرف الواحد الى الآخر ، وكان للامير بشير في جوار قصره ببيت الدين حديقة جميلة منه اقيم عليها خادم خاص يتعهدها ويقطع منها المواسير للغلايين الاميرية ويعنى بثقبها وتجفيفها.

ومن هذا الجنس من الورد يستقطر اللبنانيون العطر المعروف « بماء الورد » فيتهادونه ويحفظونه في القماقم لينثروه على الناس في حفلات الاعراس والاعياد وعلى الرؤساء والحكام عند زيارتهم لهم او لدى مرورهم في قراهم ، ولينضحوه بما يعدون في منازلهم من مرطبات وقهوة وحلويات تجميلاً لطعمها ورائحتها. ولهم في استقطاره طرق بسيطة سهلة توارثوها . منها : ما يجرونه بانبيق خاص من التنك صغير سهل الاستعمال ، ومنها ما يجرونه بقدر من نحاس يربطون على فيها قطعة من قماش شفّاف يضعون فيه الزهر وفوقها الغطاء يملأونه بالجمر فيخرج بالحرارة من الزهر بخار يتكاثف ويصير ماء هو ماء الورد المعروف.

وعلى هذا النحو يستقطرون عطر زهر الليمون بانواعهِ من برتقال ومندرينا وحلو وحامض ويستعملونه كماء الورد. وقد يتناولونه علاجاً في بعض امراضهم لاسيما في ما يسمونه « الوثاب » و« وجع القلب »

ويستحبون في ايار من مواليد الماشية « عجول البقر » فيقولون : « لا تقتني الا عجل نوار » ، وذلك لان العجل المولود في هذا الشهر يستقبله الطقس الدافئ ويتوافر لامه الكلأ الاخضر علفاً فتدرّ له الحليب الغزير طعاماً فينمو ويشتد ويشبّ ثورًا مستجمعاً محاسن جنسه وكمالاته.

وللعامة من اللبنانيين عبارات مأثورة تؤذن بمهارتهم في التمييز بين الثيران والاستدلال من سنها ولونها وتركيب اعضائها على ما تصلح له من الغايات، من ذلك قولهم : « اشقر بقر لا تشتري وان صح عندك لا تبيع » ومعناه ان الابقار الشقراء لا يصح منها الا القليل النادر ، فالاولى ان لا يقتنى منها الا ما اثبت الاختبار صحته .» و« ان صعبت عليك الارض ادرْ لها هروشها » اي ان الابقار المسنة هي اصلح للحراثة في الاراضي الصلبة من الابقار الفتية . و« ما في لحم الا في العتيق » ويريدون به ان اللحم الدسم الكثير لا يكون الا في الابقار البالغة اشدها والعتيقة الايام . و« استطول وذباح واستقصر وفلاح » ومعناه ان الابقار الطويلة السواعد هي اصلح للذبح وقصيرتها اصلح للحراثة.

ويتخوفون « برد ايار » لسوء اثره في الاجسام والمزروعات والمحاصيل ومن اقوالهم في ذلك .« برد نوار خرّاب الديار »

اما المطر في ايار فيتوقعه الفلاح اللبناني بذاهب الصبر لجزيل فائدته للزروع ومن اقوالهم في مطر ايار : « المطرة في نوار بتموّن الفلاح وبقراته وبتزوّج ولاده وبناته » . واذا حصل جفاف في ايار خيف منه أن يصوح الزرع وييبسه هبّ الاهلون الى زيارة الكنائس وانارتها بالزيت والشموع رافعين الابتهالات الى الله بقلوب خاشعة لكي يمنّ عليهم بالغيث . وربما نشر روساؤهم الدينيون المناشير يفرضون فيها الصوم والصلاة واقامة الزياحات كل مساء لاجل استهطال الغيث . وفي هذه المناسبة يجتمع الاولاد كل عشية ويحملون تمثالًا يؤلف من عود عليه بعض الملابس ويطوفون به في الشوارع وهم ينشدون النشيد الآتي :

يا أم الغيض غيضينـا ... شتي في اراضينـا
شتي في اراضي الزرع ... ليكبر وينشينـا

ويريدون بأم الغيض أمّ « الغيث » وهي السيدة العذراء عليها السلام التي

خص شهر ايار بتكريمها وسمي باسمها «شهر مريم» او «الشهر المريمي». واللبنانيون معروفون منذ القدم بصدق تعبدهم لهذه السيدة وبالتجائهم اليها في كل ملمة لاسيما في ايار شهرها ، وقد تعودوا ان يقيموا لها في اوله وآخره الطوافات الحافلة بايقونتها في شوارعهم او حول كنائسهم بين صنوف الخضرة والرياحين التي يتطوعون لجمعها كبارًا وصغارًا من الحدائق والبراري. وفي بعض القرى يكتفون باقامة خيمة في دار كنيسة الرعية او في الساحة العامة يشيدون فيها مذبحاً تعطى عليه البركة بايقونة السيدة في اول الشهر او آخره تبعاً للعادة المكانية.

وفي ايار يبدأون في الساحل باستغلال الفواكه والبقول والخضر كالمشمش والتفاح والخوخ والكوسا والبندورة واللوبياء والخيار وما شابه ، ويأخذون في الجبال بزرع اغراس التبغ او «شتله» وفي ذلك يقولون : « في نوار خيارة ومشمشة وشتل تتن »و«في عشره نوار خوخة وسنبلة وزر خيار . »

وفي ايار يحين زمن استثمار « الشرانق » او « قطفها » فيتبادل المربون المعونة على ذلك ، ويضرب المربي لقطف موسمه موعدًا يدعو اليه اصحابه وجيرانه ويعدّ لهم الطعام ويشتري الحلاوة ، فيلتئمون عنده جماعة ويجمعون الشرانق عن « الشيح » وهي الاغصان التي توضع للدود لتحيك عليها فيالجها بعد تيبيسها وربطها وتكون صنفين : « الكليلة » وهي التي توضع بالعرض على موائد الدود بين الاطباق ، «والحياطة» وهي التي توضع من الوراء لصيق الحيط او الجدار.

وحلاوة القطف كثيرًا ما يشترونها مبادلةً بالفيالج ثقلًا ببعض اثقال. والحلاوة طعام تقليدي في قطف مواسم الحرير لا بد منها. ويقولون في ذلك: «قطاف بلا حلاوة سبب للعداوة . »

ولا يكون زمن قطف الفيالج واحدًا في جميع المناطق اللبنانية ولكنه يختلف باختلاف علو الامكنة عن سطح البحر ولهذا بينما يقول اهل الجبال : « في ايار احمل منجلك وغار » و«في ايار تقول القز اقبر بيك والحقني » يكون اهل الساحل قطفوا قزهم وباعوا فيالجها.

حزيران

هو في السريانية «حزيرون»، وفي العبرانية «سيوان» من «سيفانو» البابلي، واختُلف في معناه. يقابله من اشهر الفرنجة «جوان» من جونيوس اللاتيني رابع شهر من اشهر السنة الرومانية التي وضعها رومولوس، وقد اسماه كذلك لسببين: اما حفظاً لذكرى الشبان من جنوده الذين كان يدعوهم «جونيئوس»، واماً تيمّناً باسم الآلهة «جونون» التي يدعوها اليونان «هيرا»، وهي ابنة زحل وامّ المرّيخ المشهورة في الاقاصيص القديمة بقسوتها وحسدها.

كان الاقدمون يعتقدون ان الذي يتزوج في هذا الشهر يطول عمره، لان ايامه طويلة مشتملة على اطول يوم من ايام السنة وهو ٢١ منه.

***

وحزيران في التقاليد اللبنانية شهر «اليسر ووفاء الدين»، لان الملّاكين والمزارعين يبدأون فيه باستثمار مواسمهم، وبيع ما تنتجه ارضهم، واستغلال موسم القزّ الذي كان يُعدّ اهم المواسم اللبنانية واوفرها عائدة، لذلك اعتادوا جعل ١٥ منه موعداً لآجال سنداتهم، اذ يصبحون فيه قادرين على اداء ما يطلب منهم من دين. لكن هذه العادة اخذت تتلاشى بعد انحطاط هذا الموسم وتضاؤل منتوجه بسقوط اسعاره.

والدائن اللبناني قلّما كان في السابق يربط دينه بسند او رهن، او يقيم عليه شهوداً، بل كان يعطيه المدين سرّاً لئلا يجرح كرامته واحساسه، ومن امثالهم المشهورة في ذلك قولهم: «الدين سترة» وذلك كان لشدّة استمساكهم بفضيلة الصدق ورعاية اصول التعامل ومبادرة المدين الى وفاء دينه في الاجل

المضروب بلا مطل ولا تسويف ، واهتمامه باتحاف الدائن حيناً بعد آخر ، ولاسيما في الاعياد والمواسم بمختلف الهدايا من موارده ومحاصيل ارضه ونتاج ماشيته ، كأن يحمل اليه سلال الفاكهة والخضرة ، وبراني السمن واللبن والعسل اقراراً بجميله ، متلطفاً اليه بمثل هذه العبارات : « كثّر الله خيرك ! وزاد المال بين يديك ! وان وفيتك مالك فلست قادراً على ايفاء فضلك ! »

وقد روى لي احد الشيوخ ان وجيهاً في عصره احتاج مالاً وراح يستدينه من متموّل ، فوعده هذا به على ان يربطه بسند من توقيعه ، فابى الوجيه اخذ المال لقاء سند اعتبار ان ذلك يحطّ من قدره ويدلّ على الاسترابة بصدقه وصحة ضميره ويلحق بهِ اهانة لا يرضاها مثله .

وفي حزيران تكون مواسم الفواكه والخضر لا تزال في معمعان رواجها في المناطق اللبنانية المتوسطة . ومن اقوالهم فيها : « في حزيرانك يا فلاح ، فرّق الخوخ والمشمش والتفاح » ، وكلمة « فرّق » تشير الى التقادم والهدايا التي يتبادلها اللبنانيون مما تنتجه ارضهم وماشيتهم ، لان هذه المحاصيل لم تكن لتباع سابقاً في القرى البعيدة عن المدن الا في القليل النادر ، وسبب ذلك توافرها لدى السواد الاعظم ، ولان اللبنانيين قبل شيوع المهاجرة بينهم وتطوّر معيشتهم تطوّرها الطارئ الاخير كانوا باكثريتهم الساحقة منصرفين الى الحرث واستثمار الارض وتربية المواشي . فكان كل ما يفيض من محاصيلهم عن استهلاكهم الخاصّ يفرقونه هدايا على كهنتهم وزعمائهم وجيرانهم واصدقائهم واقاربهم لتفاهة قيمته وقلة الحاجة اليه ؛ او يحملونه الى حيث يستبدلونه مقايضةً بمنتوج آخر مما ينقصهم وتمسّ اليه حاجتهم كأن يبدل الدبس بالزيت والتين بالزيتون والحنطة بالفواكه الخ ...

ومما يؤيد شيوع عادة التهادي بينهم بيتان من زجلية قديمة تتناقلها السنتهم ، وهما هذان :

من المشمش العال اخذت اليوم سلتكم ومعها رسالة تسليني عفرقتكم
ان جاء البشر يبشرني بسلامتكم لاعطيه روحي وافرّق من هديتكم

وهذا دليل على ان عادة تهادي الغلال والمحاصيل شائعة منذ القديم في لبنان .

وفي حزيران تنقف الطيور عندنا بيوضها وتربي فراخها منها : الدجاج ويجمعون للدجاجة الامّ ، ويسمونها «القرقة» ، البيض الحديث. وقبل ان تحتضنه يمرونها تحت فخذ عازب وقايةً لها من « الكبسة » ويضعونها على البيض في مكان مظلم بعيد عن الناس لئلا يقع عليها ظل حامل او عازب او عازبة ، فتغادر البيض فيفسد ويبطل نقفه.

ويؤثر عندهم العازب العفيف في امرار «القراق» تحت الفخذ او « فشخها » ، ومن كان مشهورًا في القرية من الاعزاب بعفافه قصدته النساء « بقراقهنّ » « ليفشخها » وحملنَ اليه الهدايا جزاء عمله.

ومما يروون في مسامراتهم بهذا الصدد: ان اسقفاً كان له شماس كثير الاخلاص والحسنات ولكنه كان حادّ الطبع ، فاذا احتدم غيظاً انطلق لسانه بالسبّ والشتيمة ، فكان الاسقف الجليل يحاول اصلاحه من نقيصته بشتى الطرق. وقد اراد مرةً زيارة قرى الابرشية وخاف ان تكون نقيصة شماسه حجر عثرة للناس فاوجب عليه كلما دخل قرية وضع حصاة في فمه حتى اذا ما أُغضب واراد الشتم تمنعه الحصاة عن الكلام فيصمت ، وهكذا يتعوّد الاحتمال ويخلص من عادته القبيحة ولا يعثر الناس بسببه. وخرج الاسقف مرة من احدى القرى بعد ان اقام فيها اياماً فودعه الاهلون الى آخر الخراج بالاجلال ، وبعد ان ابتعد وشماسه عنهم واذا بامرأة تجري وراءهما وهي تصرخ متوسلة الى المطران ان ينتظرها هنيهة لامر يهمها. فوقف الاسقف في مكانه وهو يحسب للامر الف حساب ، ثم وصلت المرأة واذا هي تحمل بيدها دجاجة فقالت للمطران : « ارجوك يا سيدنا ان تفشخ لابنتك العاجزة هذه القرقة قبل رحيلك فانك خير عازب عفيف دخل قريتنا. »

فساءت الاسقف غلاظة هذه المرأة وقلة ذوقها ، والتفت الى شماسه فقال : « ابصق الحصاة يا ولدي ! » ففعل الشماس بما امره الاسقف وانهال على المرأة بالسبّ والشتم ، واعادها الى القرية تتعثر باذيال الخجل والخيبة. وقد ذهبت كلمة الاسقف مثلًا عندهم فهم يقولون: « بصق فلان الحصاة » اي انه استسلم الى غضبه بعد دعة ، وجهر بما يكنه ضميره من الاسرار والخفايا.

ومن الطيور التي تفرخ في هذا الشهر الحجال، فان صغارها تدرج فيه فيقتنصها الصيادون بالاشراك ويربونهـا في اقفاص . فاذا كبرت استعملوهـا في الاشهر الاخرى من السنة في صيـد « اليقلوم » او القترة وهي الاكواخ الصغيرة التي يكمن فيها الصيادون للصيد، وذلك بان يضعوا الحجال الـداجنة المحبوسة في الاقفاص على منصة قريبة من اليقلوم الذي يكمنون فيـه باسلحتهم حتى اذا جاءت الحجال البرية على صوتها اطلقوا عليها نيران اسلحتهم فصرعوها. ويقولون في امثالهم :« تعبك على صوص حزيران لا يروح ضيعان » . وفي الربيع الى آخر حزيران يستخدمون في صيدهم « السركة » وهي تحريف « السلكة » اي انثى الحجـل ، وفي الفصول الاخرى يستخدمون الحجال الـذكور . والحجل كثير في صرود لبنان ، وكان الامير بشير شديد الولع بصيده . وفي اللبنانيين خواصهم وعوامّهم من كلفوا في فنّ الصيد كلفاً شديداً ، واتقنوه كل الاتقان.

وفي بعض الجهات اللبنانية ينضج قسم من المزروعات في هذا الشهر فيبدأون حصاده ، ويقولون في ذلك :« في آخر حزير ، طيلع ابنك على الغمير » فحزير في اصطلاحهم حزيران ، والغمير الحصاد ، ويظن انهم اخذوا هذا اللفظ من كلمة « غُمر » وهي بلغتهم العامية الذراع او ما يحمل عليها من قشّ وعشب ونحوه، والغمير في اللغة الفصحى الماء الكثير ، ولعلهم ارادوا بالمثل المتقدم ما تأويله : « في حزيران دَعْ ابنك يذهب الى الغدران الغزيرة الماء للاستحمام فيها والابتراد بها من لوافح الحرّ التي تشتد في هذا الشهر » ولذلك يقولون ايضاً :« في حزير ، تغلي المياه في البير »

ويقولون :« حرّ حزيران يعمل الحليب عيران » والعيران عنـدهم الحليب الخـاثر ويسمونه « اللبن الرائب » ويقولون :« في حزيران تدخل الشمس برج السرطان ، وتقول للحرّ اهلاً باعزّ الخلان »

وفي ٢١ حزيران ينتهي فصل الربيع ويدخل فصل الصيف ويقال في ذلك : « حزيران شهر البسط والكيف ، اوله ربيع وآخره صيف .»

وفي ٢٤ منه يقع عيد مار يوحنـا المسمى عندهم « حرّاق الدواليب » وقد سمي كذلك لاحد سببين :« الاول ، حصول حادث كبير في احدى السنين يوم

هذا العيد احترقت فيه مجموعة من الدواليب الوطنية التي كان يحلّ الحرير عليها قبل شبوع معامل الحل على الطريقة الاوربية. فعدّ الناس ذلك الاحتراق قصاصاً لاصحابها لانهم اشتغلوا يوم العيد مخالفين بذلك شريعة البطالة ، واخذوا يذكرونه تباعاً كل سنة في مثل يوم وقوعه مسمين العيد باسم «حرّاق الدواليب» وقد تنوقلت هذه التسمية عاماً بعد عام حتى وصلت الينا. الثاني اعتياد اصحاب الدواليب المذكورة منذ القديم مباشرة حرق حطامات مصانعهم ومخلفاتها في مثل هذا اليوم الذي ينتهي فيه زمن الحلّ لعدم الحاجة اليها ، فادى ذلك الى تسمية العيد بذلك الاسم من باب تسمية الكل باسم الجزء.

وفي حزيران تنقى اصول الدوالي مما ينبت على جذوعها من النوامي لان هذه اذا تركت تضعفها وتمنع العصارة المائية عن عناقيدها ، ويسمى ذلك باصطلاح العامة «التفريك» ويقولون في ذلك : «فرك كرمك في حزير ، بيزيد قناطير.»

وقد تلد الهررة في هذا الشهر ولادة ثانية فتكون مواليدها ضعيفة البنية لانها في غير اوانها ، وتقول العامة في هذه المواليد : «بسين الحصرمة كل عمره متغلس» اي مهزول.

ويذكرنا هذا المثل بما اعتاده اللبنانيون من تأريخ حوادثهم بالمتشاهر عندهم من المواسم والاعياد كأن يقول احدهم : «سافر والدي الى اميركة ايام القز ، ومات جدي نهار عيد الميلاد ، وتزوّج اخي على المرفع او الاحد الجديد» وما الى ذلك



تموز

تموز اسم الاله « دوزو » الكلداني المترجم « عرق الحياة » ، أطلق عليه تيمناً . وقد عبد الفينيقيون هذا الاله واسموه بلسانهم « ادوني » اي «سيدي» ، وهو عندهم رمز الشمس لانهم كانوا يؤلهون قوى الطبيعة . وقد اقام له الجبيليون في مدينتهم ومشارفها هياكل فخمة ، وكانوا يحتفلون كل سنة باعياد موته وقيامته ، وله عندهم اسطورة معروفة . واسماه اليونان « ادونيس » ، واطلقوا اسمه هذا اليوناني على نهر ابراهيم . يقابله في الاشهر الفرنجية «يوليو» ، اخذاً عن الرومان الذين اطلقوا عليه اسم احد امبراطرتهم « يوليوس قيصر » المولود فيه ، تكريماً له ، بعد انتصاره على اعداء الامبراطورية . وكان الاقدمون يرمزون اليه بصورة « الاسد » ، والانكليز يسمونه « شهر المروج » لازهارها فيه ، والفرنسيون « شهر القش » لانه عندهم شهر الحصاد ، والمصريون « شهر الماء والهواء » لان الرياح تهبّ فيه عندهم ويفيض ماء النيل

***

وتموز في لبنان « شهر الحصاد » لان الحنطة تدرك فيه البلوغ فيباشرون حصادها ، ولحصّاديهم فيه اقوال فهو عندهم : « شهر البركة » . وشمسه على شدّة حرّها « تجوهر الجسم » اي تطهّره من السموم بما تخرجه منها مع العرق ، وهواؤه يساعد على تذرية الحنطة المدوسة على البيادر ، ويمكّن من فصل الحب عن القش او التبن بسهولة ، ومن ترطيب الجسوم وانعاشها ، ويتناشدون وقت مباشرة الحصاد اغاني تقليدية متوارثة تستلذّ الآذان سماعها ، لما فيها من معانٍ لطيفة تحضّ على العمل والسعي في تحصيل الرزق بعرق الجبين . وقد التحفني بعض الفلاحين بشيء من تلك الاغاني فاثبت هنا اغنيتين منها مثالاً

لنفسية الفلاح اللبناني القديم وصورة لما كان يجول في قرارة نفسه من العواطف والافكار والمطامح عند مباشرة عمله

الاولى : اغنية عريقة في القدم يقال انها تردّد في لبنان من مئات السنين:

شوّش الجمّال قلبي ، عندما نادى الرحيل
قلت لهُ : جمّال ، خذني . قال : انا دربي طويل .
قلت لهُ : جمّال ، بركب . قال : انا حملي ثقيل .
قلت لهُ : أيش الحمولة ؟ قال : قرفة وزنجبيل .
قلت لهُ : حصيد زرعي ، قبل حملك ، يا خليل
شو بتنفعني الحمولة ان كان محصولي قليل ؟!

الثانية : اغنية طويلة اكتفيت منها بالابيات التالية :

يا شباب المولشه (١ ها الشهر شهر العيشه .
ال ما يحصد من قلبه بتكون حياته وحيشه .

دور

ال ما يحصد من قلبه ويله من غضب ربه !
الغله بتروح من دربه ، ومايسمع صوت الجاروشه .

دور

وما يسمع صوت الطاحون ، ويصير محتاج ومديون ،
واذا عدّا عليه كانون يبلى باكبر بلبوشه . (٢

دور

يبلى باكبر شغلة بال ؛ الحصيدة لازمها رجال .
عالحصيدة ، يا ابطال ، بالمنجل والقاشوشة ! (٣

وفي تموز تبدأ اسعار الحنطة بالارتفاع لان الغلّة القديمة تكون على وشك النفاد ، والغلة الجديدة تكون لا تزال قيد التجهيز والاعداد للاستهلاك ، ويقول اللبنانيون في ذلك : « الغلاء الشديد، تحت الغُمر الجديد » وقد مرّ بك ما يريدون في اصطلاحهم من لفظة غمر ، على ان سهولة المواصلات في هذا العصر لم تبق لمثل هذا الغلاء محلًا ، لما تأتينا به البواخر في مختلف الاوقات

١) الحصاد ، من ملش بمعنى حصد والمالوش حشرة تقضم النبات فكأنها تحصده
٢) البلبلة والبلاء وتعب البال
٣) اداتان للحصاد في لبنان

والفصول ، من محاصيل البلدان الاجنبيّة. واذا تعذر على من نفدت غلاله منهم شراء حاجته منها، استعارها ممن توجد لديه من جيرانه واصحابه، حتى اذا درس غلاله الجديدة وذرّاها ، كان اول ما يفعله ، وهو على البيدر ، قبل التعبئة ، ردّ العارية الى صاحبها ، ومن امثالهم في ذلك : « قبل ما تعبي ردّ ، لان من أخذ ورد ، فاضي لا يرتد »

وفي تموز يهيئ الزرّاع الاوعيـة لادّخار الغلّة يصنعونها من الدلغان بشكل اسطواني ، ويجعل لهـا ثقب من اسفل يُسدّ بكمامة ويفتح عند الحاجـة ، ويسمونها « الكواير » . وقد تكون مربّعة مزدوجة الداخل يوعى في جانب منها السميذ الناعم وفي الجانب الاخر السميذ الخشن ، الاول للكبة ، والثاني للطبخ فتسمى «المخادع» ويقولون في امثالهم :« في تموز الحصيدة ، هي كوايرك للغلة الجديدة » و « يا ذلّ من عمل بطون الناس كوايره ! »

وفي تموز تنضج بواكير التين والعنب ، وتسمى بواكير التين في اصطلاحهم «الديفور او الديثور» ويقولون ان الاكثار منه ضارّ بالصحة لما يسببه من الارتباكات في الجهاز الهضمي ، ومن اقوالهم فيـه : « من كثّر الديفور، بات مضرور »، وتسمى بواكير العنب : « التلاويح » ويقولون انها نافعة مقوية للدم ، ويحضون على الاكثار منها ، ومن اقوالهم فيها :« متى لوّح العنب من جديد ، كل منه قدر ما بتريد » ومنها : « اول العنب ، وآخر التين »

واول ما تظهر « تلاويح » العنب في عيد مار الياس ٢٠ تموز ، ويقولون في ذلك :« في عيد مار الياس ، حطّ العنب للجلاس » . وفي ١٧ منه تبتدئ ايام « الشعرى » ومدتها شهر وهي معمعان الحرّ، لذلك قالوا : « في تموز، تغلي الميـاه في الكوز» وقالوا ايضاً : « الجحاش البيض لا تدفأ الا في عشرين تموز » لان هذه الجحاش موصوفة بشدة تأثرها بالبرد فيقولون عنها انها لا تدفأ الّا اذا بلغ الحرّ اشدّه في التاريخ المذكور

وفي تموز يندر المطر لذلك يقولون: « اندر من المطر في تموز ». وفي اغنية عاميّة عن لسان امرأة لبنانيّة تشكو سوء حظها البيت التالي :

يا سوء حظي الو غسلت في تموز رعدت وبرقت وشتت كل نقطه كوز !

آب

آب من لفظة كلدانية بمعنى « الثمر الناضج » ، سمي بها هذا الشهر لنضج الاثمار الصيفية فيه كالعنب والتين والاجاص والرمان والسفرجل وغيرها .

يقابل آب عند الفرنسيين «اوت» ، وعند الانكليز «اوغست» ، وقد اخذ هؤلاء هذا الاسم عن الرومانيين الذين ، عملاً بقرار مجلس شيوخهم ، اطلقوا على هذا الشهر اسم احد امبراطرتهم اغسطوس قيصر ، تكريماً له وتخليداً لذكراه . وقد خصّوا هذا الشهر بذلك دون سواه لان اغسطوس قيصر تقلّد فيه منصب القنصلية ، اي رئاسة الحكومة الرومانية ، وكان يقيم فيه ثلاث حفلات بهيجة : الاولى تذكاراً لاستلامه امرة الجند الروماني ، والثانية تذكاراً لاخضاعه البلاد المصرية ، والثالثة تذكاراً لاخماده نار فتنة اهلية .

وكان الرومان يدعون هذا الشهر قبل تسميته هذه الجديدة سكستيليس اي السادس لانه كان سادس شهر من سنتهم المبتدئة باذار ، وكان اولاً ثلاثين يوماً فجعلوه بعد هذا الابدال واحد وثلاثين يوماً ، احتراماً للاسم الذي اعطوه اياه ، ولئلا ينقص عن رديفه تموز الذي اسموه « يوليو » باسم احد امبراطرتهم يوليس قيصر وجعلوه واحد وثلاثين يوماً لمثل الغاية المشار اليها ، واخذوا اليوم المزاد على آب من شباط ، على ما مرّ بك من قبل ، فاصبح شباط في السنة الكبيسة تسعة وعشرين يوماً ، وفي السنين العادية ثمانية وعشرين كما هو الآن .

ولآب عند الميثولوجيين ، اي اصحاب الخرافات الدينية القديمة ، صورة رمزية تمثله برجل عارٍ ذي شعر مشعّث ، وفي يديه اناء صغير شبه قرن يشرب

منه ، والى جانبه ريش طاووس ووعاء كبير الماء اشارة الى مـا يقع فيه من حرّ لافح وميل شديد الى الابتراد بالماء .

. . .

وآب في لبنان شهر نضج الاثمار . واللبنانيون ، قبل ان توافرت لـديهم طرق المواصلات واخترعت السيارات التي اصبحت تأتيهم بصنوف الفواكه المبكرة فور نضجها من مواقعها الحارّة فتكتظّ بها اسواقهم ويتناولون حاجتهم منها كانوا يرقبون فواكههم الوطنية بذاهب الصبر وقد وضعوا لها عبارات مأثورة تؤذن بمواعيد ظهورها ، من ذلك ما تعلق عندهم بالعنب المعدود لديهم «ملك الفواكه» والذي يبدأ نضجه في لبنان في هذا الشهر . من تلك العبارات قولهم :« في عيد الرب (٦ آب) نقّي حبّ » اشارة الى ان العنقود ينضج منـه في اوائل هذا الشهر بعض حباته . و« في عيد السيدة (١٥ آب) صفّوا العنب عالميدة » اي على المائدة ، اشارةً الى ان العنب يكمل نضجه في هذا التاريخ فيقدم منه للآكلين على مائدة الطعام ، وربما كان ذلك اشارةً الى عادة قديمـة لا تزال مرعية عند بعضهم ،وهي انهم في هذا العيد يحملون بواكير العنب الى الكنيسة فيضعونها على مائدة فيها ليباركها الكاهن ويوزّعها هو ام يوزعونهـا هم على المؤمنين ومن ثم يباشرون جنيه لحاجاتهم المنزلية ولبيعه في الاسواق . و«في ٢٠ آب ادخل الكرم ولا تستهاب » ويريدون بذلك ان العنب في هـذا التاريخ يتمّ نضجه ويأذن زمن دخول الكرم وتناول ما يراد من العنب منه بدون اي محذور .

وآب في لبنان شهر الحرّ لذلك اسموه « آب اللهاب ».واوله موعد انتقالهم الى المصايف ولكل ساحل من سواحـل لبنان مصايف معروفـة تناوحه في الجبال ، وقد اصبح لبنان لهذا العهد مصيفاً مأثوراً لابنـاء الاقطـار المجاورة يقصدون اليه لانتجاع العافية والتلذذ بمشاهده الخلابة ، وقـد كثرت المصايف اللبنانية لهذا العهد واهتمت بها الحكومة اهتماماً مشكوراً فاصبح الاصطياف في لبنان موسماً يدرّ على اهليه اخلاف الربح .

على انه لا تمرّ ايام من آب حتى تأخذ الشمس بالرجوع نحو خطّ الاستواء

فيتلطف الهواء نوعاً وقد قال اللبنانيون في ذلك : « عيد التجلي (٦ آب) يقول للصيف ولِّ » اي اذهب.

وفي منتصف آب تدخل الشمس برج الاسد ويقولون في ذلك : « متى دخلت الشمس برج الاسد قُل الحرّ بعد والجوّ فسد » اي تغير واخذ يميل نحو الخريف والهواء المعتدل اللطيف.

وقد يكثر الضباب في اول هذا الشهر ، فيهشّ له المزارعون لتأثيره في انضاج فواكههم ويسمونه باصطلاحهم : « طبّاخ العنب والتين »

واذا مضى آب برد الماء والهواء في لبنان وخفّت وطأة الحرّ. وقد قال احد الشعراء في ذلك :

برد الماء وطاب الليـــلُ والتذّ الشرابْ
ومضى عنك حزيرا نٌ وتموزٌ وآبْ

وفي آب يواصل المزارعون دراسة حبوبهم وتذريتها وهواء آب في لبنان اوفق الاهوية لتذرية الحنطة وفصل حبها عن قشها فاذا لم يذرِ فيه الفلاح حنطته تولاه الندم بعد حين لان الريح تشتدّ في ايلول وتصبح غير صالحة للغرض المتقدم. ويقول الفلاحون في ذلك مثلهم المشهور : « اللّي ما ذرّى في آب ، شحم قلبه ذاب »

والاجاص من اكثر الفواكه اللبنانية بعد العنب والتين واسمه العامي عندهم « النجاص » وهو نوعان سكري ومغيزلي وكلاهما لذيذ شهي المذاق ، وقد قال احد الزجالين اللبنانيين القدماء في الاجاص البيتين التاليين :

يقول النجاص انا النجاص بعناقه يا مطعمي السكري يا سعد من ذاقه
روحوا لمن علته بتشد على خناقه وقولوا باني دوا المضنى وترياقه.

ويندر في آب سقوط المطر وقد لاحظ اللبنانيون ذلك فقالوا في امثالهم بهذا المعنى : « جدّي خبرني عن جد وأب ، كل الشهور بتشتي ما عدا شهر آب »



ايلول

ايلول من لفظة « اولولو » الكلدانية ، قيل ان معناها « الثمر » تدخل فيه الشمس برج الميزان. يقابله من الاشهر الافرنجية سبتمبر اي السابع ، اخذاً عن الرومانيين ، كان الزراع القدماء يقيمون فيه الحفلات التكريمية لفولكان اله الحدادين ، ويعدّون ادواتهم الزراعية تأهباً للحراثة.

. . .

وايلول في لبنان من الاشهر اللطيفة تخفّ فيه الحرارة ويبرد الهواء والعامة تقول « يقلب الهواء » اي يتغيّر منقلباً من حار الى بارد. ومن اقوالهم فيه: «ايلول طرفه بالشتاء مبلول » وقال احد شعرائهم :

لقد مضى القيظ واحتثّت رواحله   وطابت الراحُ لما جاء ايلولُ

ويعدّ اللبنانيون في ايلول مؤونتهم للشتاء مدّخرين الحبوب على انواعها ، ويقولون في ذلك : « في ايلول دبّر المكيول ، للعدس والحمص والفول »

ومن المؤن الخاصة التي يعنى بها اللبنانيون ويهيئونها للشتاء « القورما » وهي لحم يغلونه من اغنام يعلفونها طيلة الصيف لهذه الغاية ، و«الكشك» وهو دقيق يتخذ من منقوع اللبن والبرغل بعد اختماره ، والتين المطبوخ بالسكر المطيّب بقلوب الجوز واللوز والسمسم. هذا عدا ما يحفظون من الجبن والقريشة واللبن (الشديد او المقطوع) ينقعونه بالزيت أكراً كل منها بحجم الجوزة ، والعسل ومربيات السفرجل والاجاص.

ومن تلك المؤن البيض والزبيب والدبس والمخلّلات بانواعها. وبعض هذه المؤن لا يهتمون بحفظه قبل ايلول مخافة ان تفسده شدة الحر وتبلوه بالعفن.

ومن امثالهم عن التموّن في ايلول قولهم : « في ايلول تموّن لعيالك واخلي

الهم عن بالك » ويقولون ايضاً : « تمّون في الصيف كل ما يقول لـك الشتاء هاته » ، و « حجار الصيف تنفع للشتاء . »

وقد كان جدودنا يعلقون كثيراً من الاهمية على اعداد المؤونة للشتاء ، لانّ المواصلات في ايامهم كانت مستصعبة والطرق غير امينـة ، فكان احدهم اذا احتاج الى شيء في فصل الامطار وجـد مشقّة عظيمة في الحصول عليـه ، لذلك كانوا يطرئون في اغانيهم كل من تجاسر على السفر منفردًا حتى الى دمشق وينعتونه بالبطولة :

جوزك يـا مليحـة   راح على الشام وحده
جوزك يـا مليحـة   بو زيـد الهلالي

وفي ايلول ينضج الزيتون لكنهم لا يقطفون منه الا ما ارادوا اعـداده « اخضر » لمؤونة الشتاء ويسمونه ايضاً « المسَح » من تسبيحه في الماء ، او ما شاؤوا استخراج زيته لحاجتهم الوقتية ويدعونه :« الزيت الايلولي » ويفهمون به الزيت الذي يستعمل موقتاً ولا يصلح للادخار مؤونةً .

وفيه يتمّ نضج العنب في الغالب ويباشر صنعه زبيباً او دبساً او نبيـذًا او عرقاً .

ومن عنبهم نوع يعرف « بالصبّـاغي » اسود الـلون يستوحشون لمنظره ويتخذون نضجه واسوداد عناقيده نذيراً بزوال الصيف ،زمن الرخاء والسعة ، الصيف الذي يقولون عنه :« بساطه واسع ، ولو كانت له امّ كانت تبـكي عليه »،ومؤذناً بقرب مجيء الشتاء زمن العناء والضيق ، ويقولون في ذلـك : « قعي الجدي ولا سواد العنقود » ومعناه ان شباط الذي نسمع فيه ثغاء الجداء المبشر بقرب الربيع فالصيف هو خير من ايلول الذي ينذر اسوداد عنبه بحلول الخريف فالشتاء زمن الزمهرير والامطار وانحباس الناس في المنازل انحباساً تنقبض له صدورهم وتستوحش انفسهم .

وفي ١٤ ايلول يقع عيد الصليب ولهذا العيد المبارك عند اللبنانيين احترام بليغ ، وفي مسائـه اعتادوا اقامة الزين والتنويرات ورشق الاسهم النارية في

الفضا.،وهذه العادة قديمة يعيدها بعضهم الى عهد الملك هرقل،وآخرون الى عهد القديسة هيلانـة والدة قسطنطين ، ولـه ايضاً عندهم ادلة على مـا يقع في عامهم المقبل من صحو ومطر ورخص وغلاء. والذين يعتقدون ذلك يلاحظون يوم وقوعه من الاسبوع وتبدّل الطقس فيه ومنهم من يرقب النجوم في مسائه، ولملاحظاتهم تلك حسابات يحسبونها واستنتاجات يستنتجونها.

ومن اخصّ اعتقاداتهم تلك مـا يسمونه البواحير او الصليبيـات ، وهي الايام الاثنتا عشرة التي تبدأ من عيد الصليب ، ويستدلّ من كل منها على حالة الهواء في كل شهر من اشهر السنة القابلة ، على ان يحسب يوم العيد لشهره اي لايلول ، وهذه الايام تعرف عند العرب بالقماقم. وقد عرفت بين اللبنانيين من يجيد استخدام هذه الطريقة بحسبان عدة ساعات لكل يوم فيكادون يعينون ايام المطر والصحو من السنة القابلة تعييناً قلّما يخطئون فيه.

ولهم في الاستدلال على حالة الجوّ في السنة المقبلة طريقة اخرى يستعملونها مساء عيد الصليب وهي : يأخذون عشية العيد اثنتي عشرة ورقة تين او توت ويشدّونها الى قضيب ينيطونه بجدار معرضاً لسقوط النـدى ويخصون كل ورقة بشهر ابتداء من ايلول ثم يبكرون في الغداة لتفحصها فما كان منها جافّاً كان شهره جافّاً ، وما كان طرياً رطباً كان شهره كذلك.

وكثيراً ما يتجهّم الجوّ بعد عيد الصليب في اواخر ايلول وتتساقط الامطار ويقرس البرد لذلـك يقولون :« بعد عيد الصليب الـدنيا بتعيب » اي تصير عائبة اشبه بايام الشتاء في اصفرارها وتعكرها ، ويقولون ايضاً :« متى صلّبت غرّبت » اي صارت شمس صيفها على وشك الغروب.

وبعد عيد الصليب تكون الغلال قد جمت من الاملاك ، فتزول هيبتهـا وحرمتها ويتركها الناطور ، ويدخل اليها الرعاة بماشيتهم ويعيث فيهـا الحطابون ويقولون في ذلك :« بعد عيد الصليب كل اخضر بيسيب » اي يهمل.

ولعلّ ذلك الاهمال كان سبباً لخراب الغابات اللبنانية وقد احسنت الحكومة الحاضرة بما وضعته من القوانين الصارمة لحماية الاملاك والغابات والاشجار وحقّ لها الشكر ، وعلى الاهلين ان يساعـدوها في ذلـك وان يقبلوا على تحريج

الاراضي الجرداء اغتناماً لما ينجم عنها لهم ولبلادهم من المنافع العميمة.

وتطول في بعض السنين ايام الصحو بعد عيد الصليب ويرتفع الحرّ فيظن الناس انفسهم في صيف جديد وقد قالوا في ذلك: «بعد عيد الصليب الآخراني، صيف ثاني» اي بعد عيد الصليب على الحساب الشرقي. وقالوا: « ما لك صيفية، الا بعد الصليبية.»

وفي ٢١ ايلول يتساوى الليل والنهار ويبدأ من ثم فصل الخريف، وهو المسمى زمن الاعتدال الخريفي، او الفصل الذي ينتقل منه تدريجاً من الصيف الى الشتاء. ويقول اللبنانيون في ذلك: « صلّب واعبر » اي بعد عيد الصليب اترك الصيف واستعد لاستقبال الشتاء.







التشرينان

جَمَعت الاساطير والامثال اللبنانيـة بين شهري تشرين كما جَمَعت بين شهري كانون ، لذلك آثرتُ الكلام عن التشرينين في فصلٍ واحد ، كما تكلمت عن الكانونين :

تشرين من « تشرينو » الكلدانية التي معناها « الابتداء » ، سمي بها تشرين الاول بداءةً ، لانه كان مطلع السنة او ابتداءها . يقابل تشرين الاول من الاشهر الافرنجية « اوكتوبر » . كان الرومان يحتفلون فيه بعيد آلهة الخمور والحقول والرعـاة لانه الزمن الذي يتم فيـه استخراج الخمر وتُسمَن الماشية ويباشر القاء الزرع في الارض ، وكان يرمز اليه بصورة صيّاد عند قدميه ارنب وفوق رأسه عصافير ، والى جانبه دنّ خمر ، اشارةً الى ما يتمّ فيه من الصيد وقطف العنب وصنع الخمور .

اما تشرين الثاني فيقابله من الاشهر الافرنجية «نوفمبر» ، فيه تدخل الشمس برج « الرامي » وهو متوسط الخريف ويسمّيه الانكليز شهر الرياح ، وكان الرومان يدعونهُ شهر بـداءة الشتاء ، وقد خصّوه بعبودتهم « ديانا » ومثلوه بهيئة كاهن للاله ايزيس

. . . .

وفي لبنان تتدرّج الطبيعة في هـذين الشهرين من الصيف الى الشتاء ، فتبدأ رويدًا رويدًا بخلع محاسن الصيف وبهارجـه والظهور باكفهرارها الباعث على الانقباض والوحشة ، وكلما مضى منهما يوم قرب الشتاء والطقس البارد ، ويشتدّ البرد عادةً في طرفي النهار والناس لم يتعودوه بعد فينالهم منـه ضرر ، لذلك قالوا : « برد التشارين ، بيهرّ المصارين »

وقد تكثر بسبب هذا البرد النزلات الوافدة والزكامات والالتهابات الصدرية مما يوجب الانتباه والتوقي ، وقد قالت العامّة في ذلك : « برد التشارين توقّاه ، وبرد الربيع تلقاه »

وفي المناطق العالية يبقى من الغلال والثمار ما يستغلّ في التشرينين ولاسيما العنب الزحلاوي ، ويقال في تلك الانحاء : « في تشرين ، ودّع العنب والتين » . ولكن الوسائط التي اخذوا اليوم يستعملونها لحفظ العنب من اضرار المطر والبرد قد تبقيه الى شهري كانون .

وقد يحدث في التشرينين ، رغم ما قدّمناه عن تقلّص ظلّ الصيف وظهور الشيب في هام الطبيعة ، ان يطول الصحو وتتوالى الايام الجميلة حتى لقد يظن المرء نفسه في صيفٍ جديد ، وقد قالوا في ذلك : « ما بين تشرين وتشرين صيف ثانٍ »

وفي التشرينين تشحّ الينابيع والانهار لطول عهد الصحو حتى تكاد تنضب ولكن الماء يطيب لما يمازجه من برودة ، وقد اعربوا عن ذلك بقولهم : « اللي ما شبع من العنب والتين ، يشبع من ماء التشارين »

ويواصل الفلاحون اللبنانيون من مطلع تشرين الاول استعداداتهم التي يكونون بدأوا بها من ايلول لمباشرة الحراثة فيجدّدون سككهم ومعاولهم ويُعدّون الانيار والمحاريث والبذار من مختلف الحبوب والعلف لماشيتهم وغير ذلك من المعدات التي يحتاجون اليها في مهامهم الزراعية ، ويستدلّون على قرب وقوع الشتاء وارتواء الارض بظهور زهرة بيضاء جميلة المنظر سريعة الذبول تظهر عادةً في تشرين الاول تسمى باصطلاحهم « الوَحْوَاح » فاذا رأوها هتفوا قائلين : « هيْ بركك يا فلاح ، طلع الوَحْوَاح » ، وفي التشرينين « يشحّلون » التين بعد انتزاع ورقه وحفظه علفاً للماشية ويقولون في ذلك : « شحالة التين ، في التشارين » .

وفي تشرين الثاني تموت الهوامّ والحشرات وتختفي الدبابات والزحّافات والافاعي لقرب هجوم المطر ، ويقولون في ذلك : « جاء تشرين الثاني ، وما عدنا نشوف لا حيّة ولا برغشة ولا دبّانه »

وفي آخر تشرين الثاني تقصر الايام قصرًا عظيماً ، وفيها يستقطر الزيت ، ويسميها اللبنانيون : « نهارات الزيت ، اصبحت امسيت » ويقولون ايضاً : « بنهارات الزيت ، بالكاد المرأة الشاطرة تطبخ وتكنس البيت » اي ان هذه النهارات تمرّ سراعاً فلا يكاد الصبح يطلع حتى يهجم المساء.

ولهم في استخراج الزيت عبارات اصطلاحية تدلهم على الطريقة الفضلى فيه ، من هذه العبارات قولهم : « ان عفن زيتونك في بيتك ، حَدحَدْ زيتك» اي صار طعمه حرّيفاً

ومنها : « حوّش ورصّ ، مشِّقْ وسبِّحْ » ومعناه: « الزيتون المقطوف باليد اصلِحه «مسبّحاً» اي معقماً بالماء والملح، والمنتثر تحت الاشجار استعمله «مرصوصاً».

ومنها : « مسبّح السقي ، ومرصوص البعل » ومعناه: الزيتون البعل اصلح « المرصّ » والزيتون السقي اصلح « للتسبيح »

ولهم ايضاً عبارات مثل هذه يرددونها في استقطار العرق ، منها قولهم : « كلما زاد حلو عنبك ، زاد قطر خمرك » و« كلما حلتْ الثمرة ، طابت الخمرة» اي ان العنب الناضج اصلح للخمر من غير الناضج واغزر عائدةً .

ومنها : « متى صرت تشوف وجهك بالدغار قيم على النار» اي اترك العنب المنقوع للعرق ريثما يصفو كالمرآة ثم انقله الى الانبيق واستخرجه

ومنها: « نار العرق لهبة سراج ، وحاج » اي استقطر العرق على نار خفيفة كضوء السراج.

ويتخوفون من المرض في التشرينين لان الاجسام تُقبل بعدهما على ايام البرد فلا تستعيد عافيتها بسهولة ، ويقولون: « اذا مرضت في تشرين ، لا تشفى حتى تجري الدموية ، في الربيعية ».

وفي اواخر تشرين الاول تصاد السماني وانواع العصافير والطيور. والصيادون في لبنان قسمان :

الاولون الغواة او الهواة الذين يقدمون على الصيد اجابةً لميل فطريّ فيهم يجدون باتباعه مسرةً ولذة ، والآخرون يتبعون ذلك قصد الربح من بيع ما يصطادون ، وهذا لا ينفي ان يكونوا من الغواة الهواة ايضاً ولكن اهل

البلاد تعودوا الهزء بمن اتخذ الصيد مهنةً للتعيش لانهم وجدوها من المهن القليلة الربح ، وقد قالوا في ذلك : « قطّاع الهيش ، ونتّاف الريش » لا يحمد امرهما ولا ينجحان ، ويريدون بقطّاع الهيش الحطّاب ، والحطّاب عادةً يكون كالصياد فقيرًا صعلوكاً سُدّت في وجهه ابواب الرزق فاضطر الى الالتجاء الى هذه المهنة التي لا تسدّ رمقاً رغم ما تقتضيه من الاتعاب والجري في البراري.

وللبنانيين روايات يتسامرون بها عن الحطّابين منها الرواية التالية :

قيل ان حطّاباً كان يجمع حطباً ذات يوم فمرَّ به امير كان يتصيد واذ رأى ما يكابده من العناء في مهنته رقّ له وسأله عن مقدار ربحه كل يوم قال : اطال الله بقاء سيدي الامير ، اني اربح كل يوم من عملي مالًا اعيش بقسم منه ، واوفي بقسم آخر بعض ديني ، وادين منه القسم الثالث ، والقسم الرابع ارميه في البحر . فتعجب الامير من جوابه وسأله ايضاح ذلك . قال الحطاب : اعلم ايها الامير اني اربح كل يوم اربعة غروش ، اعيش بواحد منها وانفق واحدًا على والديَّ وفاء لما انا مدين به لهما من حق التربية ، وواحدًا على اولادي الذكور فادينهم اياه على امل استيفائه منهم متى كبروا وعجزت ، وواحدًا على اولادي الاناث وهو الذي قلت اني ارميه في البحر لاني لست اعلم ماذا سيكون من امر بناتي هولاء بعد زواجهنّ وهل يكنّ بارّات بي فيفينني ديني ام لا . فأعجب الامير بجواب هذا الحطاب الذكي واجازه.

وفي اول مطرة من تشرين تروى الارض فيظهر البزّاق ويسميه اللبنانيون « المرينات» او «البرينات» واحدتها مرينة ، ويدور اولادهم في البراري يجمعونها وهم ينشدون : « يا مرينة يا مرون ، اطلعي لي باربع قرون ، باعت السلطان بده مرينة ، قدّ راس السلطعون . »

واللبنانيون لا يأكلون جميعاً البزاق ، فان فريقاً منهم يعافه ويتقزز منه ، وآخر يستطيبه ويستمرئه ولا سيما على موائد الشراب ، ومنهم من يمتهن التقاطه وعرضه للبيع في اسواق المدن فيصيب منه ربحاً .

انتهى



DATE DUE

DATE DUE

